صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(مواقف ومواعظ)

-٣-

عبد العزيز الشناوي

دار الفكر العربي

عبد العزيز الشناوي

صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(مواقف ومواعظ)

(٣)

ـ عبيدة بن الحارث

ـ عثمان بن مظعون

ـ عبد الله بن أبى السرح

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
١١ شارع جواد حسنى ـ القاهرة
ص ب ١٣٠ ت ٧٦٠٥٢٣ ـ ٧٥٠١٦٧

عبيدة بن الحارث

قال عبيدة بن الحارث لرسول الله ﷺ :
ـ ألست شهيدا ؟
قال النبى عليه الصلاة والسلام :
ـ بلى ، وأنا أشهد عليك .

تطلع الى السماء فوجدها صافية الأديم فتوقف عن الدعاء والابتهال . فمنذ الصباح خرجت قريش جميعا رجالا ونساء ووقفوا أمام الآلهة متوسلين خارعين راجين مناة وهبل واللات والعزى أن تدركهم برحمتها فترسل الرياح مقلة سحابا ثقالا فتحيى الأرض بعد موتها فقد هزلت الأنعام وحاق الضيق والكرب .

ووجد عبيدة بن الحارث قدميه تقودانه بعيدا .. الى شعاب مكة . وعاد طوفان الأسئلة يمور فى صدره هل ودعتهم الآلهة ؟ هل ضلت قريش السبيل فحل عليهم غضب الآلهة ؟ ولكن لم تغضب ؟

لقد أهرقت عند أقدامها الدماء اكراما وتعظيما وقربانا وزلفى .

كانت السماء مكفهرة ملبدة بالغيوم لماذا لم تمطر ؟ صارت عصية الدمع ؟ أصبحت الآلهة عاجزة عن تلبية رغبات الناس ؟ لماذا كانت وجوهها ساكنة ؟ لم تعد تشعر بما يدور حولها ؟ ألم تسمع تلك الأدعية الصادرة من أغوار القلوب . اذا كانت عاجزة عن ارسال المطر فمن يستطيع أن ينزل الغيث فيحيل رزقهم رخاء وعسرهم يسرا ؟

ورأى عبيدة بن الحارث عثمان بن عفان وزيد بن حارثة وسعد بن أبى وقاص .. فدنا منهم وتساءل :

ـ ماذا تفعلون ؟
قال زيد بن حارثة : نصلى .
قال عبيد بن الحارث : لمن ؟
قال عثمان بن عفان : لله .

تلفت عبيدة حوله وقال : أى اله ؟ لم أر اللات أو العزى أو هبل •
قال سعد بن أبى وقاص : لم نصل لصنم •

قال عبيدة بن الحارث : أتصلون لاله لم تروه ؟

قال عثمان بن عفان : ان لم نره فاننا نرى آياته •

قال عبيدة بن الحارث فى عجب : آياته ؟ !

قال سعد بن أبى وقاص : نعم آياته •• السماء والأرض والليل والنهار والقمر والنجوم و ••

تساءل عبيدة بن الحارث : أى اله هــذا ؟

قال زيد بن حارثة : الواحد الأحد الفرد الصمد •

قال عبيدة بن الحارث : واللات والعزى ومناة وهبل ؟

قال عثمان بن عفان : ان هى الا أحجار لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع أن ندفع عن نفسها ضرا ولا نفعا •

قال عبيدة بن الحارث : لقد فتنتم •

قال سعد بن أبى وقاص : بل لقد رشدنا •

قال عبيدة بن الحارث : من أين جاءكم هذا الأمر الذى سفه أحلامكم ؟

قال زيد بن حارثة : يا أبا الحارث أنت أعلم الناس بابن عمك محمد بن عبد الله ومقدار صدقه وأمانته وهو من أنفسكم •

قال عبيدة بن الحارث : ان محمدا غير متهم فهو يؤدى الأمانة ويصل الرحم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الدهر •

قال سعد بن أبى وقاص : لقد أنزل الله على محمد ملكا من السماء وأخبره أنه نبى هذه الأمة وأمره بعبادة الله وحده •

قال عبيدة بن الحارث : أيكفر باللات والعزى ومناة وهبل ؟

قال زيد بن حارثة : نعم انه يدعو الى نبذ عبادة الأصنام والأوثان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى •

قال عثمان بن عفان : ان رسول الله يدعو الى مكارم الأخلاق وقــد جاء بهناءة الدنيا وسعادة الآخرة .

قال عبيدة بن الحارث : أتبعه أحد غيركم ؟

قال سعد بن أبى وقاص : لقد تبعه على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة وورقة بن نوفل وطلحة بن عبيــد الله وعبــد عمرو بن عوف وسماه نبى الله عبد الرحمن بن عوف .. ولقــد آمنت به زوجته الطــاهرة خديجة بنت خويلد وأم الفضل زوجة عمه العباس وفاطمة بنت أسد زوجة عمه أبى طالب وأم أيمن .

فأطرق عبيدة بن الحارث لقد مس كلامهم شغاف قلبه وتفتحت له أغوار نفسه . فلو كان أحــد غير محمــد ـ ﷺ ـ جاء بهــذا الدين الجديد لكذبه عبيدة بن الحارث ولكن محمدا ـ عليه الصلاة والسلام ـ يعرفه قومه بالأمين .. ولم يبغ من وراء ذلك جاها ولا سلطانا ولا مالا فحسبه أنه لا يمد يده الى أموال خديجة الطائلة .

تساءل زيد بن حارثة : يا أبا معاوية ألا تريد أن تلقى رسول الله ﷺ ؟

قال عبيدة بن الحارث : هيا اليه .

فقال سعد بن أبى وقاص وعثمان بن عفــان لزيد بن حارثة : اصحبه الى بيت رسول الله ﷺ .

فانطلقا اليه فوجد عبيدة محمدا ـ ﷺ ـ يصلى فجعل يرمقه متعجبا ويتبعه بنظره فلما أتم ابن عمه ـ عليه الصلاة والسلام ـ صلاته اتجه عبيدة وزيد اليه وسلما عليه فعرض محمد ـ ﷺ ـ على عبيدة الاســلام وقرأ القرآن فأحس عبيدة نشوة عارمة وكأن غشاوة قد رفعت من عينيه وأنه ارتفع حتى كاد يعاين ملكوت الله وانسكبت أنوار اليقين فى قلبه فاذا به يرى الوجود كله قــد تألق نورا فمد يده نحو رسول الله ﷺ مبايعا وقال : أشــهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله .

ففرح النبى عليه الصلاة والسلام باسلامه فقد كان عبيدة بن الحارث رأس بنى عبد مناف وكان أسن من رسول الله ﷺ بعشر سنين .. وأصبح له قدر ومنزلة

عند ابن عمه عليه الصلاة والسلام •

ومنذ أن شرح الله صدر عبيدة بن الحارث أصبح لا يفارق رسول الله ﷺ هو ومن تبعه يلتفون حوله ويلقون اليه سمعهم لينهلوا من ينابيع الحكمة وليهتدوا بنور هديه •

وبينما كان أشراف قريش فى ناديهم أقبـل أبو ذر الغفارى ونادى بأعلى صوته :

ـ يا معشر قريش أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله •

فنظروا الى الرجل الغريب فى عجب •• وقاموا اليه ومالوا عليه يضربونه حتى أضجعوه •• فأخبر عبيدة بن الحارث عمه العباس بن عبد المطلب فأقبل وأكب عاى أبى ذر وقال :

ـ ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم الى الشام ؟

فقال أبو سفيان بن حرب : لا نريد أن تقطع غفار علينا تجارتنا الى الشام •

وقال أمية بن خلف : ولا نود أن يكون لأحد مثل غفار عندنا ثأر •

وذهب أبو ذر الى زمزم وغسل دمه عن وجهه •

وفى صبيحة اليوم التـالى جاء أبو ذر الى الحرم ونادى بأعلى صـوته : يا معشر قريش انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

فقام اليه سادات قريش وأشبعوه ضربا فقـال أبو ذر : يا أعـداء الله أتضربوننى على ايمانى بالله الواحد الأحد ؟

فقال أبو جهل بن هشام : صبأت ؟

قال أبو ذر : بل هدانى ربى سواء السبيل •

قال أبو جهل : سحرك محمد بشعره ؟

قال أبو ذر الغفارى : منـذ متى كان رسـول الله ﷺ يقرض الشـعر ؟ يا أبا جهل هل كان صدق محمد وأمانته موضع ريبة طوال الأربعين سنة التى

قضاها بينكم عابدا طاهرا ؟ لو أراد الله بك خيرا لسمعت وتدبرت قوله تعالى : **« وعجبوا أن جاءكم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب • أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب »** •• لعرفت أنه نبى الله حقا •

وكان أصحاب رسول الله ﷺ اذا أرادوا الصلاة خرجوا مستخفين من قومهم الى شعاب مكة • وذات يوم بينما كان أتباع النبى عليه الصلاة والسلام يصلون اذ ظهر عليهم عبد الله بن خطل وحنظلة بن أبى سفيان وعكرمة بن أبى جهل وضرار بن الخطاب وأبو سفيان بن الحارث فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص عبد الله بن خطل بلحى بعير فشجه فكان أول دم أهريق فى الاسلام •

وعلم أصحاب رسول الله ﷺ أن الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى قد أسلم وجعل من داره عند الصفا دارا للاسلام فدخلها رسول الله ﷺ وأصحابه وأخذوا يصلون فيها مستخفين ويعبدون الله تعالى فيها •

ودخل صهيب بن سنان (الرومى) وعمار بن ياسر دار الأرقم بن أبى الأرقم ونطقا بشهادة الحق •

ولما بلغ عدد أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام تسعة وثلاثين فى السنة الرابعة من مبعثه ﷺ أنزل الله تعالى : **« وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين »** (أى اظهر ما تؤمر به من الشرائع وادع الى الله تعالى ولا تبال بالمشركين وخوف بالعقوبة عشيرتك الأقربين وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب) •

واشتد ذلك على رسول الله ﷺ وضاق به ذرعا وجلس فى داره فسأله عبيدة بن الحارث : ما بك يا رسول الله فداك أبى وأمى ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : عرفت أنى ان بدأت بها قومى رأيت منهم ما أكره •

وأتته عماته يعدنه فقال رسول الله ﷺ : ما اشتكيت شيئا ولكن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين •

فقلن له : فادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم (أبا لهب) فانه غير مجيبك الى ما تدعو اليه .

وصمت رسول الله ﷺ فجاءه جبريل عليه السلام وقال : يا محمد ان لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار .

فأتى رسول الله ﷺ الصفا فصعد عليه ونادى : يا صبحاه .

فاجتمع الناس اليه : فقال النبى عليه الصلاة والسلام : يا معشر قريش أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أصدقتمونى ؟

قال الناس :

ـ نعم .. ما جربنا عليك كذبا قط .

قال رسول الله ﷺ : يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النـار يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى زهرة أنقذوا أنفسكم من النـار يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النـار يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النـار يا صـفية عمة محمد أنقذى نفسك من النار فانى لا أملك لكم من الله شيئا . لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا .. الا أن تقولوا لا اله الا الله (لا تبقوا على كفركم اتكالا على قرابتكم منى) .

فقال أبو لهب بن عبد المطلب : تبا لك سائر اليوم .. ألهذا جمعتنا ؟ تفرقوا أيها الناس عن هذا المجنون الضال .

فقال رسول الله ﷺ : ما أعلم انسانا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرنى ربى أن أدعوكم اليه فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر ؟

فقال الناس وهم يبتعدون : لا أحـد .

وعاد أبو لهب الى داره وأخذ يروى على امرأته أم جميل (أخت أبى سفيان بن حرب) ما كان من محمد ﷺ فأخذت أم جميل تشارك عبد العزى فى سخريته وهزئه .. فأنزل الله تعالى فيهما « **تبت يدا أبى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد** » .. وذاعت سورة المسد فى مكة فاستفحل حقد وكراهية وغيظ أبى لهب وامرأته أم جميل وكانت رقية وأم كلثوم ابنتى رسول الله ﷺ فى كنف ابنى عمهما أبى لهب فركبه الغضب وطلب منهما ان يفارقا ابنتى محمد ﷺ .. ففعلا .

وخرجت أم جميل الى الحرم تبحث عن رسول الله ﷺ وفى يدها حجر . فلما رأت النبى عليه الصلاة والسلام يتحدث مع أبى بكر وعبيدة بن الحارث انطلقت نحوهم . فقال أبو بكر : يا رسول الله انها امرأة بذيئه فلو قمت فوالله لتؤذينك .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : انها لن ترانى .

وأقبلت أم جميل .. فقالت : يا أبا بكر صاحبك هجانى .

فقال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ما هجاك .

فتبسم عبيدة بن الحارث فقد كان أبو بكر يقسم صادقا فما هجاها رسول الله ﷺ ولكن الله تعالى هجاها هى وزوجها .

فقالت أم جميل : أنشد فى شعرا .

فقال أبو بكر : والله ما صاحبى بشاعر وما يدرى ما الشعر .

فقالت أم جميل : والثواقب انه لشاعر وانى لشاعرة :

مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

وانصرفت أم جميل الى دارها فقال عبيدة بن الحارث : يا نبى الله لقد كانت تحمل حجرا وتريدك .. انها لم ترك .

فقال رسول الله ﷺ : جعل بينى وبينها حجابا .. حال بينى وبينها جبريل .

(٢)

لقى رسول الله ﷺ أبا جهل بن هشام والمغيرة بن شعبة فقال النبى عليه الصلاة والسلام : يا أبا الحكم هلم الى الله والى رسوله أدعوك الى الله .

فقال أبو جهل : يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا ؟ هل تريد الا أن نشهد أنك قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد قد بلغت فوالله لو أعلم ما تقول حقا لاتبعتك .

فانصرف رسول الله ﷺ .. فقال أبو جهل للمغيرة بن شعبة : والله انى لأعلم أن ما يقول حق ولكن يمنعنى شىء أن بنى قصى قالوا : فينا الحجابة فقلنا : نعم ثم قالوا : فينا السقاية فقلنا : نعم . ثم قالوا فينا الندوة فقلنا : نعم . ثم قالوا فينا اللواء فقلنا : نعم . ثم أطعموا وأطعمنا حتى تحاكت الركب فقالوا : منا نبى.. والله لا أفعل .

وعلم أبو جهل بن هشام أن الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى قد أسلم وجعل داره مقرا للمسلمين وقد سمى هذه الدار دار الاسلام فانطلق اليه وقال غاضبا : ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد ؟

قال الأرقم بن أبى الأرقم : بل دين الحق .

وحاول أبو جهل أن يثنى الأرقم بن أبى الأرقم ولكن الأرقم ظل كالطود الشامخ لا يتزعزع فلما فل سلاح الاقناع قال أبو جهل : واللات لا أملك حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين .

قال الأرقم بن أبى الأرقم : **« قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون »** والله لا أدعه ولا أفارقه .

وعاد أبو جهل يتوعد ويهدد الأرقم .. فلم يلق بالا لتهديده ووعيده . فحبسه أبو جهل وسقاه العذاب والهول ولكن الأرقم لم يفتن عن دينه .. فخشى أبو جهل أن يفتن الأرقم بن أبى الأرقم ضعفاء بنى مخزوم فأطلقه وهو كاره .

وذات يوم بينما كان رسول الله ﷺ وأصحابه فى دار الأرقم بن أبى الأرقم فقال عبيدة بن الحارث : والله ما سمعت قريش القرآن جهرا الا من رسـول الله ﷺ فمن فيكم يسمعهم القرآن جهرا ؟

قال عبد الله بن مسعود : أنا ٠

فقال جعفر بن أبى طالب وأبو سلمة المخزومى وخالد بن سـعيد وعياش ابن أبى ربيعة : نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ٠

فقال عبد الله بن مسعود : دعونى فان الله سيمنعنى منهم ٠

وقام عبد الله بن مسعود ثم ذهب الى مقام ابراهيم وقت الغروب وقريش فى أنديتها وقال رافعا صوته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ٠ الرحمن ٠ علم القرآن ٠ خلق الانسان ٠ علمه البيان ٠ الشمس والقمر بحسبان ٠ والنجم والشجر يسجدان ٠ والسماء رفعها ووضع الميزان ٠ ألا تطغوا فى الميزان » ٠

فتأملته قريش فى عجب وتساءلوا : ما بال ابن أم عبد ؟

فقال بعضهم : يتلو بعض ما جاء به محمد ٠

ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر فى قراءته حتى قرأ غالب السورة٠٠ ثم انصرف الى أصحابه وقد أدمت قريش وجهـه ٠٠ فقال عبيـدة بن الحارث وعامر بن ربيعة وسعيد بن زيد : هذا الذى خشينا عليك منه ٠

فقال عبد الله بن مسعود : والله ما رأيت أعداء الله أهون على مثل اليوم ولو شئتم لأتيتهم بمثلها غدا ٠

فقال مصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وخبـاب بن الأرت : لا ٠ قد أسمعتهم ما يكرهون ٠

وكان رسول الله ﷺ اذا قرأ القرآن عند الكعبة تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار فقد تواصوا وقالوا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه •

حتى كان من أراد منهم سماع القــرآن أتى خفية واسترق السمع خوفا منهم •

ومر أبو جهل بن هشام برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه ما يكره فلم يكلمه النبى عليه الصلاة والسلام • ثم انصرف أبو جهل الى نادى قريش (محل تحدثهم فى المسجد) ولم يلبث حمزة بن عبــد المطلب أن أقبــل متوشحا سيفه راجعا من قنصــه (صيده) وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله الا بعد أن يطوف بالبيت •• واذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت احداهما : لو علم ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه أقصر عن مشيته •

فالتفت حمزة اليهما فقال : ما ذاك ؟

قالت الثانية : أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا •

فاحتمل حمزة بن عبد المطلب الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا فى القوم فاقبل نحوه حتى قام على رأس أبى جهل بالقوس وقال : أتشتمه ؟

قال أبو جهل متضرعا : سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا •

فضربه حمزة بالقوس فشجه شجة منكرة وقال : ومن أسفه منكم ؟ تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فأنا على دينه أقول ما يقول فرد على ذلك ان استطعت •

فقامت رجال من بنى مخزوم (عشيرة أبى جهل) الى حمزة لينصروا أبا جهل وقالوا : ما نراك الآ قد صبأت •

فقال حمزة بن عبد المطلب : وما يمنعنى وقد استبان لى منه أنا أشهد أنه رسول الله وأن الذى يقوله حق والله لا أنزع فامنعونى ان كنتم صادقين ؟

فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة (ويكنى أيضا بأبى يعلى اسم ولد له أيضا)

فانى والله لقد أسمعت ابن أخيه شيئا قبيحا .

ولما علم عبيدة بن الحارث باسلام عمه حمزة هرع اليه ليهنئه فلما رآه سأله : ما بك يا عم ؟

قال حمزة بن عبد المطلب : لقد وسوس لى الشيطان لما رجعت الى بيتى وأخذ يقول لى : أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابىء وتركت دين آبائك ؟ الموت خير لك مما صنعت .

فقال عبيدة بن الحارث : اثبت يا عم فوالذى نفسى بيده لقد هديت الى صراط العزيز الحميد .

فقال حمزة : لقد رفعت يدى متضرعا وقلت : اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه فى قلبى والا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجاً .. ثم بت ليلتى ولكن الشيطان مازال يوسوس لى .

قال عبيدة بن الحارث : هيا نذهب الى رسول الله ﷺ .

فذهبا اليه ﷺ فقال حمزة بن عبد المطلب : يا ابن أخى انى وقعت فى أمر لا أعرف المخرج منه . واقامة مثلى على ما لا أدرى أرشد هو أم غى شديد ؟

فأقبل عليه رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله تعالى فى قلب حمزة بن عبد المطلب الايمان بما قال النبى عليه الصلاة والسلام فقال حمزة :

ــ أشهد أنك لصادق فأظهر يا ابن أخى (كان أخاه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب بن عبد المطلب وكان حمزة أسن من رسول الله ﷺ بسنتين) دينك .

فسر النبى عليه الصلاة والسلام باسلام حمزة سرورا كبيرا فقد كان أعز فتى فى قريش وأشدهم شكيمة (أعظمهم فى عزة النفس وشهامتها) .

ولما علمت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز باسلام عمه حمزة بن عبد المطلب اجتمعوا فى ناديهم فقال أبو سفيان بن حرب :

ــ ما الرى فى محمد ؟ ان عمه أبا طالب يمنعه وينصره علينا وانى أخشى أن يتبعه بعض رءوس القوم واسلامهم مقدمة لاسلام الأذناب والأتباع والبنين والحفدة والأصدقاء وقد علمتم أن عمه حمزة بن عبد المطلب قــد أسلم البارحة •

قال النضر بن الحارث : ما رأيت مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل وأخشى أن يعز ويمنع أمره فى القبائل •

قال أبو جهل بن هشام : هيا نذهب الى عمــه أبى طالب فنكلمه قبــل أن يستفحل الخطب •

فمشى أبو ســـفيان بن حرب وعتبة بن ربيعة وأبو البخترى والأســـود ابن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام فقالوا لأبى طالب :

ــ يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا • وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا (عقولنا) وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحــد الفريقين •

ثم انصرفوا عنه •

فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفســا بأن يخذل رسول الله ﷺ فقال له : يا ابن أخى ان قومك قد جاءونى فقالوا لى : كذا وكذا فأبق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق •

فظن النبى عليه الصلاة والسلام أن عمه خاذله وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه فقال رسول الله ﷺ : يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته •

ثم استعبر النبى عليه الصـــلاة والسلام (حصنت له العبرة التى هى دمع العين) فبكى ثم قام • فلما ولى ناداه عمه أبو طالب فقال : أقبل يا ابن أخى •

فأقبل رسول الله ﷺ فقال أبو طالب : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك •

ثم قال أبو طالب :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى أوسد فى التراب دفينا

وعز الله نبيه باسلام عمه حمزة وأنزل الله تعالى : « **أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** » فأدرك أصحاب رسول الله ﷺ أن الله يعنى حمزة بن عبد المطلب فأحياه وجعل له نورا ، وأن الله تعالى يعنى أبا جهل الذى يعيش فى الظلمات ولن يخرج منها ،

وأقبلت قريش على بعض أصحاب رسول الله ﷺ بالأذية سيما المستضعفين منهم (الذين لا جوار لهم) فان كل قبيلة غدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش حتى أن الواحد منهم ما يقدر أن يستوى جالسا من شدة الضرب الذى به وكان أبو جهل بن هشام يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بأن رجلا أسلم وله شرف ومنعة جاء اليه ووبخه وقال له : ليغلبن رأيك وليضعفن شرفك ،

وان كان تاجرا قال له أبو جهل : والله لتكسدن تجارتك ويهلك مالك ،

وان كان ضعيفا أغرى به ، فخرج أمية بن خلف ببلال بن رباح وأمر بطرحه على ظهره فى الرمضاء (الرمل إذا اشتدت حرارته لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت) ثم أمر بصخرة عظيمة فوضعت على صدره وقال له :

ـ لا تزال هكذا حتى تموت أن تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى ،

فيقول بلال : أحد ،، أحد (أنا لا أشرك بالله شيئا ، أنا كافر باللات والعزى) ،

ومر رسول الله ﷺ على بلال وهو يعذب فقال له : سينجيك أحد أحد ،

وأخذ صفوان بن أمية أبا فكيهة وأخرجه نصف النهار فى شدة الحر الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فخرج لسانه وأبى بن خلف يقول لابن أخيه صفوان :

ـــ زده عذابا حتى يأتى محمد فيخلصه بسحره .

وعذبت زنيرة حتى عميت فقال لها أبو جهل : ان اللات والعزى فعلا بك ما ترين .

فقالت زنيرة : كلاّ والله لا تملك اللات والعزى نفعا ولا ضرا هذا أمر من السماء وربى قادر على أن يرد على بصرى .

فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله تعالى عليها بصرها .. فقالت قريش : ان هذا من سحر محمد .

وكان الأسود بن عبد يغوث يعذّب أم عبيس أمة بنى زهرة .

وكان أبو جهل يعذب ياسرا وامرأته سمية وابنهما عمارا بالنار فمر رسول الله ﷺ بهم فقال : صبرا آل ياسر . اللهم اغفر لآل ياسر .

وأغلظت سمية القول لأبى جهل فطعنها بحربة فى قلبها فأبت الا الاسلام وكانت أول شهيدة فى الاسلام وأتى عمار بن ياسر رسول الله ﷺ وقال : لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ وقتل بنو مخزوم أبى وأمى .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : صبرا أبا اليقظان .

ثم قال رسول الله ﷺ : اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار .

وذهب أبو بكر الى أمية بن خلف فقال له : أتبيع بلال بن رباح ؟

قال أمية بن خلف : نعم أبيه بنسطاس (عبد لأبى بكر) .

فقال أبو بكر : اشتريته به .

فقال بلال : يا أبا بكر ان كنت اشتريتنى لنفسك فامسكنى وان كنت انما اشتريتنى لله عز وجل فدعنى لله . فأعتقه أبو بكر .

واشترى أبو بكر حمامة أم بلال وعامر بن فهيرة وأبا فكيهة وزنيرة وأعتقهم .

واشتدت عداوة قريش للنبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه وأنزلوا بهم

أشد العذاب فجاء أتباع رسول الله ﷺ يشكون فقال :

ـ من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الأرض استوجب له الجنة وكان رفيق أبيه ابراهيم خليل الله ونبيه محمد •

فقالوا : أين نذهب يا رسول الله ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : تفرقوا فى الأرض فان الله تعالى سيجمعكم •

فقالوا : الى أين نذهب يا نبى الله ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : اخرجوا الى جهة الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق •

فقالوا : ومتى نعود الى مكة يا رسول الله ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : عندما يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه •

(٣)

جاء غلام يتيم رسول الله ﷺ وقال : يا محمد كان أبو الحكم وصيا على وأنا يتيم فأكل مالى وطردنى فخذ حقى منه يرحمك الله •

فمشى النبى عليه الصلاة والسلام معه الى أبى جهل بن هشام ورد على اليتيم ماله •• فلما رآه أشراف قريش قالوا : ويلك يا أبا الحكم ما رأينا مثل ما صنعت•

قال أبو جهل : خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت أن أعطيه لطعننى •

واجتمع أشراف قريش من كل قبيلة وقالوا : ابعثوا الى محمد حتى تعذروا فيه •

فقال النضر بن الحارث : انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت

هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشــتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يريد ؟

فقال سادة قريش : لا نعلم أحــدا غير عتبة بن ربيعة ٠

فقال عتبة بن ربيعة : يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأعرض عليــه أمورا لعله يقبل بعضها ويكف عنا ؟

فقالوا : بلى يا أبا الوليد ٠٠ فقم اليه وكلمه ٠

فقام عتبة بن ربيعة حتى جلس الى رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من السطة (الخيار حسبا ونسبا) فى العشيرة والمكان فى النسب وأنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ٠٠ يا محمد أنت خير أم عبد الله ؟ أنت خير أم عبد المطلب ؟

فسكت رسول الله ﷺ ٠

فقال عتبة بن ربيعة : ان كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت وان كنت تزعم أنك خير منهم فقل يسمع لقولك لقد أفضحتنا فى العرب حتى طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا ٠ ما تريد الا أن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى ٠ فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ٠

فقال رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد أسمع ٠

فقال عتبة بن ربيعة : يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هــذا الأمر مالا جمعنا من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ٠ وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ٠ وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا (يصير لك الأمر والنهى) وان كان هذا الذى يأتيك رئيا من الجن تراه ولا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع الرجل حتى يداوى ٠ وان كان انما بك الباءة فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا ٠

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لقد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال عتبة بن ربيعة : نعم •

قال رسول الله ﷺ : فاسمع منى •

قال عتبة : افعل •

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

« بسم الله الرحمن الرحيم • حم • تنزيل من الرحمن الرحيم • كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون • بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون • وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون • قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين • الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون » •

ثم مضى النبى عليه الصلاة والسلام فقرأ عليه وقد أنصت عتبة لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه •• ثم انتهى رسول الله ﷺ الى قوله تعالى: « **فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود** » فأمسك عتبة على فيه ﷺ وناشده الرحم أن يكف عن ذلك •• ثم انتهى النبى عليه الصلاة والسلام الى السجدة فيها فسجد •• ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك •

فقام عتبة الى أصحابه •

فقال أبو جهل بن هشام : أحلف بالله لقد جاء أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به •

فلما جلس عتبة اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

قال عتبة بن ربيعة : ورائى أنى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة • يا معشر قريش أطيعونى فاجعلوها لى خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان

تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به .

فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ما نرى عتبة الا قد صـبأ الى محمد وأعجبه كلامه .

فقالَ عتبة بن ربيعة : هذَا رأيى فاصنعوا ما بدا لكَم .

وذَهب رسولَ اللهَ ﷺ الى المسجد وكان بصحبته عبـدَ اللهَ بن مسـعود وعبيدة بنَ الحارث وصهيب بن سنان وأخذ النبى عليه الصـلاة والسلام يصلى وقد نحر جزور وبقى فرثه (روثه فى كرشه) فقال أبو جهـل لأشراف قريش : ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد ؟

فقال أشقى القوم وهو عقبة بن أبى معيط : أنا لها يا أبا الحكم .

وقام عقبـة وجاء بذلك الفرث فألقـاه على رسول الله ﷺ وهو يصلى .. فاستضحك سادة قريش وجعل بعضهم يميل على بعض من تسـده الضحك ولم يستطع احد من اتباع رسول الله ﷺ ان ينهض ويطرح الفرث عن النبى عليـه الصلاة والسلام حتى جاءت فاطمه بنت رسول الله ﷺ فالقته عنه .. فقام النبى عليه الصلاة والسلام وقال : اللهم اشدد وطاتك (عقابك الشديد) على مضر سنين كسنى يوسف . اللهم عليك بابى الحكم بن هشام وعتبه بن ربيعه وعقبه بن ابى معيط وامية بن خلف وشيبه بن ربيعه والدليـد بن عتبه . اللهم عليـك بقريش . اللهم عليك بقريش . اللهم عليك بقريش .

فلما سمع سادات قريش صوت رسول الله ﷺ ذهب منهم الضحك وهابوا دعوته .

ــ وبعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار يهود يثرب وقالوا لهما : اسألاهم عن محمد وصفا لهم صـفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الأول (التوراة) وعندهم علم ليس عندنا .

فخرج عقبـة بن أبى معيط والنضر بن الحارث حتى قدما يثرب وسـألا أحبار يهود : أتيناكم لأمر حدث فينا .. منا غلام حقير يقول قولا عظيما . يزعم أنه رسول الله .

قال أحبار يهود : صفوا لنا صفته .

فوصـــفوا ...

قال أحبار يهود : فمن يتبعه منكم ؟

قال عقبة والنضر : سفلتنا .

فضحك حبر منهم وقال : هذا النبى الذى نجد نعتـــه ونجد قومه أشـــد الناس له عداوة .

قال أحبار يهود : سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول .. سلوه عن فتية ذهبـــوا فى الدهر الأول (أهل الكهف) ما كان من أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب . وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها (وهو ذو القرنين) ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هى ؟ فان أخبركم بذلك (بحقيقة الأولين وبعارض من عوارض الثالث) وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فانه نبى .

فرجع النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى قريش وقالا لهم : قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد .

وأخبراهم الخبر .

فجاءوا الى رسول الله ﷺ وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام : أخبركم غدا .

ولم يستثن (لم يقل رسول الله ﷺ : ان شاء الله تعالى) .

وانصرف أشراف قريش فمكث عليه الصلاة والســـلام خمسة عشر يوما لا يأتيه الوحى .. فقال سادة قريش : ان محمدا قلاه ربه وتركه .

وقالت أم جميل زوجة أبى لهب لرسول الله ﷺ : ما رأى صاحبك الا وقد ودعك وقلاك (تركك وبغضك) .

وقالت امرأة من قريش : أبطأ عليه شيطانه .

وشق على النبى عليه الصلاة والسلام ذلك منهم • ثم جاء جبريل عليه السلام فسأله رسول الله ﷺ : ما حبسك عنى ؟

قال جبريل عليه السلام : وما ننزل الا بأمر ربك •

قال رسول الله ﷺ : لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سؤت ظنا •

قال جبريل عليه السلام : وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا •

ودعا عبيدة بن الحارث أشراف قريش وأخبرهم أن رسول الله ﷺ قد جاءه الوحى عما سألوه •

ولما اجتمع سادات قريش قال النبى عليه الصلاة والسلام : **« أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا • اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا • فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا • ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا • نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى • وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا »** •

فقال رجال من قريش : هذا عن أمر الفتية الذين ذهبوا فى الدهر الأول • ماذا عن الرجل الطواف الذى بلغ مشارق الأرض ومغاربها ؟

قال رسول الله ﷺ : **« ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا • انا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا • فأتبع سببا • حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا • قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا • وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا • ثم أتبع سببا • حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا • كذلك وقد أحطنا بما لديه**

خبرا • ثم أتبع سببا •حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا • قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبيهم سدا• قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما » •

قال سادة قريش : يا محمد أخبرنا عن الروح ما هى ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : « **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا** » •

وماج بعضــــهم فى بعض فقــال بعض أشراف مكة : لقــد أجاب محمــد عما سألناه •

وقال آخرون : انه لم يجب عما سألناه وانه متقول •

وانصرف رسول الله ﷺ الى داره •

فقام أبو جهــل بن هشام قال : أسمعتم ما أجاب محمد ؟ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى • واللات هــذا القول ما هو بالجواب • أترون أنه عجز ؟

قال عتبة بن ربيعة : يا أبا الحكم أتسمع منى ؟

قال أبو جهل : قل يا أبا الوليد •

قال عتبة بن ربيعــة : والله ما هو بعاجز وما كذبكم فى هذا شــيئا • ان الروح لا يمكن أن تكون من أمر بشر • لقد صدقكم محمد وما كان عليه لو أنه نبى كاذب أن يقول لكم فى أمر الروح قولا أو يصف لكم وصفا يسكتكم به •

وجلس الوليد بن المغيرة يوما فقال : أينزل هذا القرآن على محمد وأترك أنا وأنا كبير قريش وسيدها • ويترك أبو مسعود الثقفى سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين (مكة والطائف) ؟

فأنزل الله تعالى : **« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم • أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » •**

فقال الوليد بن المغيرة لسادة قريش : ابعثوا أحدا ليأتى بمحمد •

فجاء رسول الله ﷺ مسرعا طمعا فى هدايتهم حتى جلس اليهم فعرضوا عليه الأموال والشرف والملك •

فقال رسول الله ﷺ : ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم وان تقبلوا منى ما جئتكم فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم بينى وبينكم •

قال أبو جهل : يا محمد ارجع الى ديننا وكف عن شتم آلهتنا ولا تذكرها بسوء ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج اليه فى دنياك وآخرتك •

وقال عتبة بن ربيعة : ان لم تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح •

فتساءل النبى عليه الصلاة والسلام : وما هى ؟

قال عتبة بن ربيعة : تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وأنت فى الأمر فان كان الذى نعبده خيرا مما تعبد كنت أخذت منه بحظك وان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا منه بحظنا •

فقال رسول الله ﷺ : حتى أنظر ما يأتى من ربى •

فجاءه الوحى بقوله تعالى : **« بسم الله الرحمن الرحيم • قل يا أيها الكافرون • لا أعبد ما تعبدون • ولا أنتم عابدون ما أعبد • ولا أنا عابد ما عبدتم • ولا أنتم عابدون ما أعبد • لكم دينكم ولى دين » •**

قال أبو جهل : يا معشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضى من أسلافكم يتهافتون فى النـــار ألا ومن قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من الفضة .

قال عمر بن الخطاب : أنا لها .

فقال سادة قريش : أنت لها يا عمر ؟

قال عمر بن الخطاب : نعم .

وتعاهد معهم على ذلك .. وخرج متقلدا سيفه متنكبا كنانته يريد محمدا ﷺ فمر على عجل يذبح فسمع من جوفه صوتا يقول : يا آل ذريح صائح يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

فقال عمر فى نفسه : ان هذا الأمر لا يراد به الا أنت .

ومر عمر بسعد بن أبى وقاص فقال له : أين تريد يا عمر ؟
قال عمر بن الخطاب : أريد أن أقتل محمدا .

فقال سعد بن أبى وقاص : أنت أصغر وأحقر من ذلك . تريد أن تقتـــل محمدا وتدعك بنو عبد مناف أن تمشى على الأرض ؟

قال عمر بن الخطاب : ما أراك الا وقد صبأت فأبدأ بك فأقتلك .

قال سعد بن أبى وقاص : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

فسل عمر سيفه وسل ســـعد سيفه وشـــد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا .

فقال سعد بن أبى وقاص : يا عمر مالك لا تصنع هذا بختنك وأختك ؟

فتساءل عمر : صبآ ؟

قال سعد بن أبى وقاص : نعم .

فتركه عمر وسار نحن أخته فاطمة بنت الخطاب وكان عندها خباب بن الأرب

ومعه صحيفة يقرؤها عليهم • فلما دق عمر الباب وسمعوا صوته تغيب خبـاب وترك الصحيفة • ولما دخل عمر قال لأخته : ما هذه الهيمنة التى سمعت ؟

قالت فاطمة بنت الخطاب : ما سمعت شيئا غير حديث تحدثنا به بيننا •

قال عمر لأخته وزوجها سعيد بن زيد : بلى والله لقد أخبرت أنكما بايعتما محمدا على دينه •

وبطش عمر بزوج أختـه فألقاه الى الأرض وجلس على صـدره وأخذ بلحيته • فقامت اليه أختـه فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها عمر فشجها فلما رأت الدم قالت له : يا عدو الله أتضربنى على أن أوحد الله تعالى ؟ لقد أسلمت رغم أنفك فاصنع ما أنت صانع •

فلما رأى عمر ما بأخته وما صنع بزوجها ندم وقال لأخته : أعطنى هذه الصحيفة أنظر ما هذا الذى جاء به محمد •

قالت فاطمة بنت الخطاب : أخشاك عليها •

فحلف ليردنها اذا قرأها اليـها فقالت : يا أخى أنت نجس ولا يمسـه الا الطاهر •

فقام عمر واغتسل •• فخرج خباب وقال لفاطمة بنت الخطاب : أتدفعين كتاب الله الى عمر وهو كافر ؟

قالت : نعم وانى أرجو أن يهدى الله أخى •

فرجع خباب الى محله ودخل عمر •• فأعطتـه تلك الصحيفة فقرأ عمر : **« بسم الله الرحمن الرحيم • طه • ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى • الا تذكرة لمن يخشى • تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العـلى • الرحمن على العـرش استوى • له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى • وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى • الله لا اله الا هو له الأسماء الحسنى »** •

فقال عمر : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه •

ثم عاد وقرآ : « **وهل أتاك حديث موسى • اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى اتيكم منها بقبس أو اجد على النار هدى • فلما اتاها نودى يا موسى • انى آنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى • وانا اخترتك فاستمع لما يوحى • اننى آنا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى** » •

فقال عمر بن الخطاب : ينبغى لمن يقول هذا أن لا يعبد معه غيره •

فلما سمع خباب بن الأرت ذلك خرج اليه وقال : يا عمر انى أرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ فانى سمعته امس وهو يقول : « اللهم ايد الاسلام بأبى الحكم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب » فالله الله يا عمر •

فقال عمر بن الخطاب : دلنى يا خباب على محمد حتى آتية فأسلم •

فقال خباب : هو فى بيت عند الصفا معه نفر من أصحابه •

فعمد عمر الى دار الأرقم بن أبى الأرقم فقرع الباب فقيل : من هذا ؟

فقال : عمر بن الخطاب •

فما اجترأ أحد أن يفتح الباب لما عرفوه •• فقال النبى عليه الصلاة والسلام : افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده •

فأخذ المقداد بن الأسود وحمزة بن عبد المطلب بعضدى عمر حتى دنا من رسول الله ﷺ فقال : أرسلوه •

فأرسلاه •• فاخذ النبى عليه الصلاة والسلام بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وقال : ما أنت منته يا عمر حتى ينزل الله بك الخزى والنكال ما أنزل الله بالوليد بن المغيرة ؟

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله جئت لأؤمن بالله ورسوله وأشهد أنك رسول الله •

فكبر النبى عليه الصلاة والسلام تكبيرة سمعها أهل المسجد • وكبر أصحاب رسول الله ﷺ تكبيرة سمعت بطرف مكة •

وضرب رسول الله ﷺ بيـــدت صـــدر عمر حين أســـلم ثلاث مرات وهو يقول : اللهم اخرج ما فى صدر عمر من غل وابدله ايمانا .

وتذكر عمر أشد أهل مكة لرسول الله ﷺ عداوة حتى يأتيه ويخبره أنه قد أسلم فذكر أبا جهل بن هشام فجاءه ودق عليه بابه فقال : من بالباب ؟

قال عمر : عمر بن الخطاب .

فخرج اليه وقال : مرحبا وأهلا بابن أختى ما جاء بك ؟

قال عمر : جئت لأخبرك وأبشرك ببشارة .

قال أبو جهل : وما هى يا ابن أختى ؟

قال عمر بن الخطاب : انى قد آمنت بالله وبرسوله محمـــد ﷺ وصدقت ما جاء به .

فضرب أبو جهل الباب فى وجه عمر وقال : قبحك الله وقبح ما جئت به .

وجاء عمر رجلا آخر من أشراف قريش وأعلمه أنه قد أسلم فلم يصبه منه شىء وقال له : تحب أن يعلم اسلامك ؟

قال عمر : نعم .
قال : اذا جلس الناس فى الحجر واجتمعوا فائت جميـــل بن معمر (كان لا يكتم السر) فقل له فيما بينك وبينه انى صبأت .

فلما اجتمعت قريش فى الحجر جاء عمر جميل بن معمر فدنا منـــه وأخبره فرفع صوته بأعلاه وقال : ألا ان عمر بن الخطاب قد صبأ .
فقال عمر من خلفه : كذب ولكنى أسلمت وشـــهدت أنه لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .

فقامت قريش فلم يزل يقاتلونه ويقاتلهم حتى قام خاله أبو جهل بن هشام على الحجر فأشار بكمه وقال : ألا انى أجرت ابن أختى .

فانكشف عنه الناس فصار بعد ذلك يرى الواحد من المسلمين يضرب عمر

لا يضرب فقال فى نفسه : ما هذا بشىء حتى يصيبنى ما يصيب المسلمين .

فأمهل حتى جلس الناس فى الحجر ووصل الى خاله أبى جهل وقال له : جوارك عليك رد .

فقال أبو جهل : لا تفعل يا ابن أختى .

فقال عمر : بل هو ذاك .

فقام الناس فما زال يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس وأعيا وهم على رأسه فقال عمر : افعلوا ما بدا لكم فلو كنا ثلاثمائة نفر تركناها لكم أو تركتموها لنا (يعنى مكة) .

وبينما هم كذلك أقبل خاله العاص بن وائل السهمى عليه حلة فتساءل : ويلكم ما شأنكم ؟

قالوا : صبأ عمر .

قال العاص بن وائل : فمه .. رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب مسلمين لكم صاحبكم هكذا ؟ خلوا عن الرجل .

فانفرجوا عن عمر بن الخطاب كأنهم ثوب كشط عنه .. فقال عمر :

الحمد لله ذى المن الذى وجبت	له علينا أياد ما لها غير
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا	صدق الحديث نبى عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى	ربى عشية قالوا : قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زلل	بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة	والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت أن الذى تدعوه خالقها	فكاد تسبقنى من عبرة درر
فقلت : أشهد أن الله خالقها	وأن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبى صدق أتى بالحق من ثقة	وفى الأمانة ما فى عوده خور

ولما أسلم عمر بن الخطاب قال المشركون : لقد انتصف القوم منا .

ونزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال : يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر .

وكان المسلمون لا يستطيعون أن يصلوا بالكعبة آمنين حتى أسلم عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى والذى نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم .

قال عمر : ففيم الاختفاء ؟ والذى بعثك بالحق ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر الا أظهرت فيه الاسلام غير هائب ولا خائف . والذى بعثك بالحق لتخرجن والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم .

وخرج أصحاب رسول الله ﷺ فى صفين حمزة بن عبد المطلب فى أحدهما وعمر بن الخطاب فى الآخر فكان لهم كديد ككديد الطحين (كان لهذا الجمع غبار ثائر من الأرض لشدة وطء الأقدام) حتى دخلوا المسجد ، فنظرت قريش الى حمزة وعمر فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها . فطاف رسول الله ﷺ بالبيت وصلى الظهر معلنا .. ثم رجع ومن معه الى دار الأقم بن أبى الأرقم .. فقال النبى عليه الصلاة والسلام فى استبشار لعمر : فرق الله بك بين الحق والباطل أيها الفاروق .

ولما سمع المهاجرون الى الحبشة أن اخوانهم المسلمين أصبحوا يصلون ويقرأون القرآن جهرا فى الكعبة استبشروا باسلام عمر بن الخطاب وعادوا الى مكة .

ورأى النبى عليه الصلاة والسلام أن بعض المسلمين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بينهم على الحق والمساواة فآخى بين أبى بكر وعمر بن الخطاب وآخى بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وآخى بين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وآخى بين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وبين عبيدة بن الحارث وبلال بن رباح وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص وبين أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة بن عتبة وبين سعيد بن زيد

وطلحة بن عبيـــد الله وبين على بن أبى طالب ونفسه ﷺ .. وقال : أما ترضى أكون أخاك ؟

فقال على فى ابتهاج : بلى يا رسول الله رضيت .

فقال رسول الله ﷺ : فأنت أخى فى الدنيا والآخرة .

وهاجر الى الحبشة ثلاثة وثمانون رجلا فيهم أبناء واخوة ألد أعداء رسول الله ﷺ كأبى سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وعتبة بن ربيعة وسهيل بن عمرو والعاص بن وائل . ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا قرارا فاجتمعوا فى دار الندوة وقرروا بعث عمرو بن العاص وعبـــد الله بن أبى ربيعـــة الى النجاشى ليخرجوهم من دارهم التى اطمأنوا فيها وليفتنوهم .

وقال النضر بن الحارث وأبو جهل : ان محمدا قد سخر بأصحابه لما جعلهم يهاجرون الى الحبشة فى سبيل وهم كبير .

فأنزل الله تعالى مبشرا ما أعده للمهاجرين « **والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** » .

واجتمع سادة قريش فى ناديهم فقال مطعم بن عدى : لقـــد رد النجاشى هدايا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة وردهما خائبين .

قال أبو سفيان بن حرب : لقد منع النجاشى من لجأ اليه من أصحاب محمد.

قال أبو جهل : ان أبا طالب قد أبى خذلان ابن أخيه واجماعه لفراقنا فى ذلك وعداوتنا .

قال عتبة بن ربيعة : لقد فرق محمد جمعنا وسفه أحلامنا وسب آلهتنا .

قال أبو جهل بن هشام : دعونا نسير الى أبى طالب ونتحدث معه هذه المرة .

فمشى المطعم بن عدى وأبو البخترى وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب

والعاص بن وائل وأبو جهل وأمية بن خلف .. فقال أبو جهل : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأحمله فخذه لك ولدا (أى بأن تتبناه) وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل .

فقال أبو طالب : والله لبئس ما تسومونني أتعطونى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ؟ هذا والله لن يكون أبدا . أرأيتم ناقة تحن الى فصيلها ؟

قال المطعم بن عدى : والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا .

فقال له أبو طالب : والله ما أنصفونى ولكن قد أجمعت (قصدت خذلانى) ومظاهرة القوم (معاونتهم على) فاصنع ما بدا لك .

فقال المطعم بن عدى : فارسل اليه فلنعطه النصف .

فبعث أبو طالب زيد بن حارثة الى رسول الله ﷺ فجاء . فقال أبو طالب : يا ابن أخى هؤلاء عمومتك وأشراف قومك وقد أرادوا ينصفونك .

قال النبى عليه الصلاة والسلام : قولوا أسمع .

قال أبو جهل بن هشام : تدعنا وآلهتنا وندعك والهك .

قال أبو طالب : لقد أنصفك القوم فاقبل منهم .

قال رسول الله ﷺ : أرأيتكم ان أعطيتكم هذه أنتم معطى كلمة ؟ ان أنتم تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم بها العجم ؟

قال أبو جهل : ان هذه الكلمة مريحة نعم وأبيك لنقولها وعشر أمثالها .

قال رسول الله ﷺ : قولوا لا اله الا الله .

فاشمأزوا ونفروا منها وغضبوا .. وقال أبو سفيان بن حرب ، واصبروا على آلهتكم ان هذا لشىء يراد .

وخرجوا من عند أبى طالب وهم يقولون : لا تعودوا اليه أبدا وما خير من أن نغتال محمدا .

اجتمع أشراف قريش على قتل رسول الله ﷺ فلما علم عبيدة بن الحارث بذلك انطلق الى عمه أبى طالب واخبره فجمع أبو طالب فتيانا من بنى هاشم وبنى عبد المطلب .. ثم قال : ليأخذ كل منكم حديدة صارمة ثم يتبعنى اذا دخلت المجلس فليجلس كل فتى منكم الى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية (أبو جهل) فانه لم يغب عن شر ان كان محمد قد قتل .

فقال فتيان بنى هاشم وبنى عبد المطلب : نفعل .

وجاء زيد بن حارثة وعبيدة بن الحارث فوجدوا أبا طالب والعباس وحمزة على تلك الحال فسأل أبو طالب : يا زيد أرأيت ابن أخى ؟

قال زيد بن حارثة : نعم كنت معه آنفا .

فقال أبو طالب : لا أدخل بيتى أبدا حتى أراه .

فخرج عبيدة بن الحارث وزيد والعباس وحمزة وأبو طالب حتى أتوا رسول الله ﷺ فقال أبو طالب : يا ابن أخى أين كنت ؟ أأنت بخير ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم .

فقال أبو طالب : أدخل بيتك .

فدخل رسول الله ﷺ داره . ولما أصبح أبو طالب غدا رسول الله ﷺ فأخذه من يده فوقف على أندية قريش ومعه فتيان من بنى هاشم وبنى عبد المطلب .. وقال : يا معشر قريش .. هل تدرون ما هممت به ؟

قالوا : لا ..

قال أبو طالب للفتيان : اكشفوا عما فى أيديكم .

فكشفوا .. فاذا كل فتى معه حديدة صارمة .

فقال أبو طالب : والله لو قتلتموه ما أبقيت منكم أحدا حتى نتفانى نحن وأنتم .

فانكسر القوم وكان أشدهم انكسارا أبو جهل بن هشام .

وسمع عبيدة بن الحارث أن سادة قريش اجتمعوا فى خيف بنى كنانة بالأبطح ويسمى محصبا (بأعلى مكة عند المقابر) وانهم اجتمع رأيهم على منابذة بنى هاشم وبنى عبد المطّلب واخراجهم الى شعب أبى طالب والتضييق عليهم بمنع حضور الأسواق وأن لا يناكحوهم وأن لا يقبلوا لهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل وأنهم كتبوا بذلك صحيفة وعلقوها فى الكعبة (توكيدا على أنفسهم) فلما سمع عبيدة بن الحارث بذلك أسرع الى عمه أبى طالب وأخبرَه بما سمع . فجمع بنى هاشم وبنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا النبى عليه الصلاة والسلام الى شعبهم وأن يمنعوه ممن أرادوا قتله فخرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم للشعب الا أبا لهب فانه ظاهر عليهم قريشا . وكان ذلك سنة سبع من مبعث النبى عليه الصلاة والسلام. وضربت قريش حصارا حول الشعب ومنعوا من فيه من الخروج ومنعوا الناس من الدخول أو الاتصال بمن قبل حماية رسول الله ﷺ .. ونفد الطعام والماء وجهد من كان فى الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وأوراق الشجر . وكانت العير اذا قدمت مكة يأتى أحد أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام السوق ليشترى شيئا من الطعام يقتاته فيقوم أبو لهب فيقول : يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيئا معكم فقد علمتم مالى ووفاء ذمتى فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس فى يده شىء يعللهم به ويغدو التجار على أبى لهب فيربحهم .

وربط بنو هاشم وبنو عبد المطلب حجارة على بطونهم تخفيفا لآلام الجوع. ومضت ثلاث سنوات فزلزلوا زلزالا شديدا وقال بعض المسلمين : يا رسول الله ادع لنا ربك لكى يجعل لنا مخرجا من هذا البلاء .

فطلب النبى عليه الصلاة والسلام من عمه أبى طالب وعبيدة بن الحارث وشيوخ بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن يذهبوا الى أشراف قريش ويخبروهم أن الله قد سلط الأرضة على صحيفتهم الظالمة فلحست كل ظلم وجور وقطيعة رحم ويبقى ما ذكر به الله .

فقال شيوخ بنى هاشم وبنى عبد المطلب لأبى طالب : فما ترى ؟

قال أبو طالب : أرى أن تلبسوا أحسن ثيابكم وتخرجوا الى قريش فتذكروا لهم قبل أن يبلغهم الخبر •

فخرجوا حتى أتوا المسجد على خوف من قريش فلما رأتهم قريش ظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ للقتل •

فقال أبو طالب : جرت أمور بيننا وبينكم فاتوا بصحيفتكم التى فيها مواثيقكم فلعله ان يكون بيننا وبيكم صلح (مخرج يكون سببا للصلح) •

فقال أبو جهل بن هشام : لقد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم •

فقال أبو طالب : انما أتيتكم فى أمر نصف بيننا وبينكم (أمر وسط لا حيف فيه علينا ولا عليكم) ان ابن أخى أخبرنى أن هذه الصحيفة التى بين أيديكم قد بعث الله تعالى عليها دابه لم تترك فيها من جور أو ظلم أو قطيعه رحم وبقى فيها كل ما ذكر به الله تعالى •

قال النضر بن الحارث : واذا كان ابن أخيك كاذبا ؟

قال أبو طالب : ان كان الحديث كما يقول فأفيقوا فقد نزعتم (رجعتم عن سوء رأيكم) وان لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان الذى يقول باطلا دفعنا اليكم صاحبنا فقتلتم أو استحييتم •

قال أبو جهل والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط : رضينا بالذى تقول •

ـ أنصفتنا •

فانطلق المطعم بن عدى وأحضر الصحيفة فوجد الأرضة قد أكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور وتركت اسم الله تعالى • فقال أبو طالب : يا معشر

قريش علام نحصر ونحبس وقد بان الأمر وتبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة والاساءة ؟

فنسكوا رءوسهم •• ثم قالوا : انما تأتوننا بالسحر والبهتان •

فقال عبيدة بن الحارث : ان أولى بالكذب والسحر غيرنا •

ودخل أبو طالب وعبيدة بن الحارث وشيوخ بنى هاشم وبنى عبد المطلب بين أستار الكعبة وقالوا : اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل ما يحرم عليه منا •

فمزق المطعم بن عدى الصحيفة وقال هو وزهير بن أبى أمية (ابن عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ) وهشام بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو البخترى : نحن برآء مما فى هذه الصحيفة •

وانطلقوا ولبسوا السلاح ثم خرجوا الى شعب أبى طالب •• فقال عبيدة ابن الحارث بأعلى صوته : لقد صدق رسول الله ﷺ ومزقت الصحيفة •

وخرج بنو هاشم وبنو عبد المطلب من الشعب الى دورهم فى حراسة زهير بن أبى أمية وهشام بن عمرو والمطعم بن عدى وزمعة بن الأسود وأبى البخترى •

وقدم مكة ضماد وكان من أزد شنوءة وكان يرقى من الريح (اللمة من الجن) فسمع أبا جهل وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف سفهاء مكة يقولون : ان محمدا مجنون •

فقال ضماد : لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدى •

فلقيه عبيدة بن الحارث وصحبه الى رسول الله ﷺ • فلما لقيه قال ضماد الأزدى : يا محمد انى أرقى من الريح فان الله يشفى على يدى من شاء فهل لك ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادى له وأشــهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله (قال ذلك ثلاث مرات) .

فقال ضماد : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشـــعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء .. هات يدك أبايعك على الاسلام .

فبايعه رسول الله ﷺ وقال : وعلى قومك ؟

فقال ضماد الأزدى : وعلى قومى .

وجاء الى مكة الطفيل بن عمرو الدوسى لزيارة صديقه عمرو بن حمة وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فمشى اليه أبو جهل بن هشام وأبى بن خلف والعاص بن وائل وأبو سفيان بن حرب فقالوا له : يا طفيل انك قدمت بلدنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل (اشتد أمره) بنــا وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وأمه وبين الرجل وبين أخيــه وبين الرجل وبين زوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئا وما زال سادات قريش به حتى أجمــع أن لا يسمع من رسول الله ﷺ شيئا ولا يكلمه . بل وحشا أذنيه كرسفا (قطنا) .

وغدا الطفيل بن عمرو الى المسجد فاذا بالنبى عليه الصلاة والسلام يصلى عند الكعبة فقام قريبا منه عند الكعبة فجاءه : « **بسم الله الرحمن الرحيم . تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . الذى خلق ســبع سماوات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير . ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين . وأعتدنا لهم عذاب السعير . وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير . اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور . تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء ان أنتم الا فى ضلال كبير** » .

فقال الطفيل بن عمرو : واثكلى أمى والله انى لرجل شاعر لا يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن اسمع من الرجل ما يقول ؟ فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته •

ومكث الطفيل حتى انصرف رسول الله ﷺ الى داره فتبعه ودخل وراءه •• وقال :

ـ يا محمد ان قومك قد قالوا لى عنك كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفوننى أمرك حتى حشوت أذنى بكرسف لئلا اسمع قولك • ولكن الله شـاء أن أسمع فسمعت قولا حسنا فاعرض على أمرك •

فعرض عليه رسول الله ﷺ الاسلام وتلا عليه قوله تعالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم • والطور • وكتاب مسطور • فى رق منشور • والبيت المعمور • والسقف المرفوع • والبحر المسجور • ان عذاب ربك لواقع • ما له من دافع • يوم تمور السماء مورا • وتسير الجبـال سيرا • فويل يومئذ للمكذبين • الذين هم فى خوض يلعبـون • يوم يدعون الى نار جهنم دعا • هذه النار التى كنتم بها تكذبون • أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون • اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون • ان المتقين فى جنات ونعيم • فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم عذاب الجحيم • متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين » •

فقال الطفيل بن عمرو : والله ما سمعت قولا أحسن منه ولا أمرا أعـدل منه وانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

ثم أردف : يا رسول الله انى رجل مطاع فى قومى وأنا راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم اليه •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : اللهم اجعل له آية •

ولما هم الطفيل بن عمرو بالسير الى دوس لقيـه أبو جهل بن هشـام فقال له :

ـــ يا أبا عمرو بلغنى أنك ذهبت الى صاحبنا وسمعت شعره •

فقال الطفيل بن عمرو : لقد قرأ رسول الله ﷺ آيات من الذكر الحكيم •

فقال أبو جهل فى عجب : ماذا قلت ؟ !

رسول الله •• الذكر الحكيم •• لقد صبأت •

فقال الطفيل بن عمرو : بل اتخذت لنفسى أمرا وأسلمت وهدانى الله الى نوره •

فقال أبو جهل : واللات لقد سحرك •• خيبك الله •

فتركه الطفيل بن عمرو وانطلق الى دوس •

* *

وعلمت قريش أن أبا طالب قـــد اشتكى فخشى أشراف قريش أن يموت الشيخ قبل أن يأخذ لهم على رسول الله ﷺ ويعطيه منهم •• فمشى عتبة بن ربيعة والعاص بن وائل وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان بن حرب وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف •

فقال أبو سفيان بن حرب : يا أبا طالب انك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا ولندعه ودينه •

فبعث أبو طالب عبيدة بن الحارث الى النبى عليه الصلاة والسلام فجاء •• فقال أبو طالب :

ـــ يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا اليك ليعطوك وليأخذوا منك •

فقال رسول الله ﷺ :

ـــ تقولون : لا اله الا الله وتقلعون عما تعبدون من دونه •

فصفق أشراف قريش بأيديهم •• وقالوا : يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة الها واحدا ؟ ان أمرك لعجب •

وتساءل أبو جهل بن هشام : أيسع لحاجاتنا جميعا اله واحد ؟

وقال العاص بن وائل : سلنا غير هذه الكلمة .

قال أبو طالب : يا ابن أخى هل من كلمة غيرها ؟ فان قومك قد كرهوها .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام يا عم ما أنا بالذى يقول غيرها .

ثم أردف ﷺ :

ـــ لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ما سألتكم غيرها .

فقال أبو سفيان بن حرب : والله ما هذا الرجل يعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه .

وعند قيامهم قال العاص بن وائل السهمى : دعوه فانما هو رجـل أبتر (لا عقب له) لو مات انقطع ذكره واسترحتم منه .

وتفرق أشراف قريش .

فأنزل الله تعالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم . انا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . ان شانئك هو الأبتر » .

ودخل رســـول الله ﷺ على زوجتـــه خديجة بنت خويلد وهى مريضـــة فقال لها :

ـــ يا خديجة أتكرهين ما أرى منك قد يجعل الله فى الكره خيرا ؟ أشعرت أن الله قد أعلمنى أنه سيزوجنى (أما علمت أن الله قد زوجنى معك) فى الجنة مريم ابنة عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون ؟

فقالت خديجة : آلله أعلمك بهذا يا رسول الله ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم .

قالت خديجة بنت خويلد : بالرفاء والبنين .

ولما ثقلت وطأة المرض على أبى طالب أسرع أشراف قريش اليه . كانوا يخشون أن يلح عليه رسول الله ﷺ فينطق بشهادة الحق قبل موته فالتفوا حوله . ولما أقبل رسول الله ﷺ وكان بين أبى طالب وأشراف قريش فرجة تسع الجالس فخشى أبو جهل أن يجلس النبى عليه الصلاة والسلام فى تلك الفرجة فيكون أرقى منه فوثب أبو جهل فجلس فيها . فلم يجد رسول الله ﷺ مجلسا قرب أبى طالب فجلس عند الباب .. وقال : خلوا بينى وبين عمى .

فقال ساذات قريش : ما نحن بفاعلين وما أنت بأحق به منا ان كانت لك قرابة فان لنا قرابة مثل قرابتك .

فقال أبو طالب : يا ابن أخى ما تريد من قومك ؟ هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك .

فقال رسول الله ﷺ : يا عم انما أريد أن يقولوا : لا اله الا الله .

قال أبو طالب : والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا . يا معشر قريش أطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا .

فلما سمع النبى عليه الصلاة والسلام ذلك طمع فيه وقال : أى عم فأنت فقلها أستحل لك الشفاعة يوم القيامة .

فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله ﷺ قال له : والله يا ابن أخى لولا مخافة السبة (أى العار عليك وعلى ابن أبيك بعدى) وأن تظن قريش أنى انما قلتها جزعا من الموت لقلتها وأقررت بها عينك لما أرى من شدة وجدك .

فقال سادة قريش : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟

فقال أبو طالب :

ــ أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهشام وعبد مناف .

وشهق شهقة فاذا به فى الغابرين .

فقال العباس بن عبد المطلب : يا ابن أخى والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته بقولها .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لم أسمع .

وبعد أيام من موت أبى طالب ماتت الطاهرة سيدة قريش خديجة بنت خويلد فنزل رسول الله ﷺ فى حفرتها ودفنت بالحجون وكان لها من العمر خمس وستون سنة .

وتتابعت على النبى عليه الصلاة والسلام المصائب فقد كان أبو طالب له عضدا وحرزا ومنعة وناصره من قومه . وكانت خديجة له ﷺ وزير صدق على الابتلاء يسكن اليها . فلما مات أبو طالب وخديجة فقد رسول الله ﷺ الرعاية والحماية والعطف والمنعة والتأييد .

ولما خرج رسول الله ﷺ من داره اعترضه سفيه من قريش ونثر على رأسه ترابا فدخل النبى عليه الصلاة والسلام بيته والتراب على رأسه فقامت اليه ابنته زينب بعس (قدح كبير) من ماء فغسلت وجهه ويديه وهى تبكى ورسول الله ﷺ يقول :

ـ لا تبكى يا بنية فان الله مانع أباك .

وعندما رأى رسول الله ﷺ قريشا تهجموا قال : يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك .

ولما بلغ عبد العزى بن عبد المطلب ذلك قام وقال : يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذا كان أبو طالب حيا فاصنعه . لا واللات والعزى لا يوصل اليك حتى أموت .

وسب ابن العيطلة (الحارث بن عيطلة) رسول الله ﷺ فأقبل عبد العزى (أبو لهب) ونال منه فولى وهو يصيح : يا معشر قريش صبأ أبو عتبة .

فأقبلت قريش على أبى لهب وقالوا له : أفارقت دين عبد المطلب ؟

فقال أبو لهب :

ــ ما فارقت دين عبد المطلب ولكن أمنــع ابن أخى أن يضام حتى يمضى لما يريده •

فقالوا هازئين : قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم •

فمكث النبى عليــه الصلاة والســلام على ذلك أياما لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب •

وجاء أبو جهل وعقبة بن أبى معيط الى أبى لهب فقالا له :
ــ أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك ؟ (المحل الذى يكون فيه) يزعم أنه فى النــار •

فذهب عبد العزى الى رســول الله ﷺ وسأله : يا محمــد أين مدخل عبد المطلب ؟

قال رسول الله ﷺ : مع قومه •

فرجع أبو لهب الى أبى جهل وعقبة بن أبى معيط وقال لهما : سألته فقال مع قومه •

فقالا : يزعم أنه فى النار •

فعاد أبو لهب الى النبى عليه الصلاة والسلام وقال : يا محمد أيدخــل عبد المطلب النار ؟

فقال رسول الله ﷺ : ومن مات على ما مات عليه عبد المطلب دخل النار •

فقال أبو لهب : لا برحت لك الآ عدوا أبدا وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النــار •

واشتدت عند ذلك عداوة قريش على النبى عليه الصلاة والسلام •

وفى الشهر الذى ماتت فيه خديجة بنت خويلد (شهر رمضان) تزوج النبى عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة وأصدقها رسول الله ﷺ أربعمائة درهم •
وفى شهر شوال خطب النبى عليه الصلاة والسلام عائشة بنت أبى بكر •

وقــدم على رسول الله ﷺ عشرون رجلا من أهل نجران (قوم من النصارى ونجران بلدة بين مكة واليمن) حين بلغهم خبره ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة • فصحبهم عبيدة بن الحارث الى المسجد فوجدوا النبى عليه الصلاة والسلام فجلسوا اليه وسألوه وكلموه •

وكان رجال من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ كما أرادوا دعاهم رسول الله ﷺ الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا وآمنوا وعرفوا منه ما هو موصــوف به فى كتابهم • فلما قاموا عنــه اعترضــهم أبو جهــل وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف فقالوا لهم : خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون (تنظرون الأخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل) فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال ؟ لا نعلم ركبا أحمق (أقل عقلا) منكم •

فقالوا لرجال قريش : سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه •

فأنزل الله تعالى :

« واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » •

(٥)

فى الشهر الذى ماتت فيه خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله ﷺ (شهر رمضان) ذهبت خولة بنت حكيم زوجة عثمان بن مظعون الى النبى عليه الصلاة والسلام وقالت له : يا رسول الله ألا تتزوج ؟

قال رسول الله ﷺ : من ؟

قالت خولة بنت حكيم : ان شئت بكرا وان شئت ثيبا •

قال النبى عليه الصلاة والسلام : فمن البكر ؟

قالت خولة بنت حكيم : احق خلق الله بك .. بنت أبى بكر .

فتساءل رسول الله ﷺ : ومن الثيب ؟

قالت خولة بنت حكيم : سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ما تقول.

قال رسول الله ﷺ : فاذهبي فاذكريهما علّى .

فذهبت خولة الى دار زمعة ودخلت على سودة فقالت لها :

ـ ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟

فتساءلت سودة بنت زمعة : وماذاك ؟

قالت خولة بنت حكيم : أرسلنى رسول الله ﷺ أخطبك عليه .

قالت سودة بنت زمعة : وددت ادخلنى على أبى فاذكرى له .

فدخلت خولة بنت حكيم على زمعة وكان شيخا كبيرا فقال : من هذه ؟

قالت خولة : خولة بنت حكيم .

فتساءل زمعة :

ـ فما شأنك ؟

قالت خولة بنت حكيم : أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة .

قال زمعة : كفء كريم .

ثم عاد يتساءل : ما تقول صاحبتك ؟

قالت خولة بنت حكيم : تحب ذلك .

قال زمعة : أدعيها الى .

فدعتها .. فقال زمعة : أى بنية ان هذه تزعم أن محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم أتحبين أن أزوجك منه ؟

قالت سودة بنت زمعة : نعم .

قال زمعة لخولة بنت حكيم : ادعيه لى .

فجاء رسول الله ﷺ .. فزوجه زمعة ابنته سودة . وأصدقها النبى عليه الصلاة والسلام أربعمائة درهم .

وذهبت خولة بنت حكيم الى أم رومان أم عائشة فقالت لها :

ـ ماذا أدخل الله عليكم من البركة والخير ؟

فقالت زوجة أبى بكر : وماذاك ؟

قالت خولة بنت حكيم : قد أرسلنى رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة .

قالت أم رومان : انتظرى أبا بكر .

فلما جاء أبو بكر قالت خولة بنت حكيم : يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟

تساءل ابو بكر : وهل تصلح (تحل له) انما هى بنت أخيه .

فرجعت خولة بنت حكيم الى النبى عليه الصلاة والسلام فذكرت له ذلك . فقال رسول الله ﷺ : ارجعى اليه فقولى له : أنا أخوك وأنت أخى فى الاسلام وابنتك تصلح لى (تحل) .

فعادت خولة بنت حكيم الى أبى بكر وذكرت له ذلك .. فقالت أم رومان :

ـ ان مطعم بن عدى كان ذكرها (عائشة) على ابنه جبير ووعده والله ما وعد وعدا قط فأخلفه (تعنى زوجها أبا بكر) .

فذهب أبو بكر الى دار مطعم بن عدى ودخل عليه وعنده امرأته أم ابنه جبير فتساءل أبو بكر :

ـ ما تقول فى أمر هذه الجارية ؟

فأقبل المطعم بن عدى على زوجته وقال لها : ما تقولين يا هذه ؟

فأقبلت زوجة المطعم بن عدى وقالت :

ـ لعلنا ان أنكحنا هذا الفتى اليكم تصيبه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه •

فقال أبو بكر لمطعم بن عدى : ما تقول أنت ؟

قال مطعم بن عدى : انها تقول ما تسمع •

فقام أبو بكر وليس فى نفسه من الوعد الذى وعده المطعم بن عدى •

ورجع أبو بكر فقال لخولة بنت حكيم :

ـ ادعى لى رسول الله ﷺ •

فذهبت خولة بنت حكيم فلم تجد النبى عليه الصلاة والسلام فى داره ولقيت عبيدة بن الحارث فقالت له :

ـ ألم تر رسول الله ﷺ •

قال عبيدة بن الحارث : فى المسجد •

وقبل أن يتم عبيدة بن الحارث حديثه مع خولة بنت حكيم أقبل النبى عليه الصلاة والسلام •• فدعته ﷺ فزوجه أبو بكر عائشة (كانت بنت ست أو سبع سنين) فى شهر شوال •

اشتدت عداوة قريش لرسول الله ﷺ بعد أن أصبح بلا معين ولا ناصر (بعد موت عمه أبى طالب وزوجته خديجة بنت خويلد) فخرج النبى عليه الصلاة والسلام فى شوال سنة عشر من النبوة ومعه زيد بن حارثة الى ثقيف يلتمس منهم النصر والقيام معه على من خالفه من قومه •

فلما انتهى اليهم عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا ثلاثة : عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفى • وجلس رسول الله ﷺ اليهم وكلمهم فيما جاءهم به (نصرته على الاسلام والقيام معه على ما خالفه من قريش) •

فقال حبيب بن عمرو : انى أمرط ثياب الكعبة (ينتفها ويقطعها) ان كان الله أرسلك يا محمد •

وقال عبد ياليل بن عمرو : والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من الله كمـا تقول .. لأنت أعظم خطرا من ان أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلمك .

وقال مسعود بن عمرو : أما وجد الله أحدا أرسله غيرك ؟

فقام رسول الله ﷺ وقد آيس من خبر ثقيف .

فقال رسول الله ﷺ : اكتموا على .

فقد كره النبى عليه الصلاة والسـلام أن يبلغ قريش ذلك فيشتد أمرهم عليـه .

فقال بنو عمرو : أخرج من بلدنا والحق بمنجاتك من الأرض .

وأغروا به (سلطوا عليه) سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله ﷺ بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا أرضخوهما (دقوهما بالحجارة) حتى أدموا رجليه ﷺ . وكان النبى عليه الصلاة والسلام اذا أزلفته الحجارة (وجد ألمها) قعد الى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون . كل ذلك وزيد بن حارثة يقى رسول الله ﷺ بنفسه حتى شج رأسه شجاجا .

وعمد النبى عليه الصلاة والسلام الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه . فرجع عن النبى عليه الصلاة والسلام من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فاستظل رسول الله ﷺ فى حبلة (شجرة كرم تحمل العنب) وجلس .. وقال ﷺ :

ــ « اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى ؟ ان لم يكن بك غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضـبك أو تحـل على سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك » .

ولمـا رأى رسول الله ﷺ عتبة وشيبة ابنى ربيعة كره مكانهما لمـا يعلم من عداوتهما لله ولرسوله . فلما رأياه عليه الصلاة والسلام وما لقى تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لشيبة وقالا .

ـــ يا عداس خذ قطفا من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه .

ففعل عداس .. ثم أقبل به حتى وضـــعه بين يدى رسول الله ﷺ .. ثم قال له : كل

فلمّا وضع النبى عليه الصلاة والسلام فيه يده قال : بسم الله .

ثم أكل ﷺ . فنظر عداس الى وجهه عليه الصلاة والسلام وقال :

ـــ والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة .

فتساءل النبى عليه الصلاة والسلام : من أى البلاد أنت ؟ ودينك ياعداس ؟

قال عداس : أنا نصرانى وأنا من أهل نينوى (قرية على شاطىء دجلة فى أرض الموصل) .

فقال رسول الله ﷺ : أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟

فتساءل عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فانى والله خرجت منهـــا (يعنى نينوى) وما فيها عشرة يعرفون ما متى ؟ فمن أين عرفت ابن متى وأنت أمى وفى أمة أمية ؟

فقال رسول الله ﷺ : ذلك أخى كان نبيا وأنا رسول الله والله أخبرنى خبره وما وقع له مع قومه .

وعد يونس بن متى قومه بالعذاب بعد أربعين ليلة لـــا دعاهم فأبوا أن يجيبوه وخرج عنهم وكانت عادة الأنبياء اذا واعدت قومها العذاب خرجت عنهم. فلما فقدوه قذف الله تعالى فى قلوبهم التوبة (الايمان بما دعاهم اليه يونس) .

أكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه .

فقال عتبة لأخيه شيبة : أما غلامك فقد أفسده عليك .

فلما جاءهما عداس قالا : ويلك يا عداس .. مالك ؟ تقبل يدى هذا الرجل ورأسه ولم نرك تعلته بأحدنا ؟

قال عداس : يا سيدى ما فى الآرض شىء خير من هذا .

قال عتبة وشيبة : ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينـه .

قال عداس : هذا رجل صالح أخبرنى بشىء عرفته من شأن رسول بعثه الله الينا يدعى يونس بن متى .

فضحك عتبـة وشـيبة ابنا ربيعـة به وقالا : لا يفتنك عن نصرانيتك رجل خداع .

وانصرف رسول الله ﷺ من الطائف الى مكة فلما كان بقرن الثعالب رفع رأسه فاذا بسحابة قد أظلته فاذا فيها جبريل عليه السلام فنادى وقال :

ـ ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث لك ملك الجبال لتأمره بما شئت .

ثم نادى ملك الجبال فسلم على رسول الله ﷺ وقال :

ـ يا محمد قد بعثنى الله .. ان الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال قد بعثنى اليك ربك لتأمرنى ما شئت ان شئت أطبقت عليهم الأخشبين (جبلا مكة).

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا .

فقال ملك الجبال : أنت كما سماك ربك « رءوف رحيم » .

ومشى رسول الله ﷺ حتى اذا كان بنخلة (محلة بين مكة والطائف وهناك واديان بهذا الاسم أحدهما نخلة الشامية والثانى نخلة اليمانية) فقام النبى عليه الصلاة والسلام من جوف الليل يصلى فمر نفر من الجن (سبعة وقيل تسعة من جن نصيبين وهى مدينة بالشام وقيل باليمن أثنى عليهما رسول الله ﷺ ودعا الله تعالى أن يعذب نهرها وينضر شجرها ويكثر مطرها) فاستمعوا له ﷺ وهو يقرأ القرآن فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا الى ما سمعوا . فقص الله تعالى خبرهم على نبيه ﷺ :

« واذا صرفنا نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين . قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد

موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم • يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم » •

وأقام رسول الله ﷺ بنخلة أياما فقال له زيد بن حارثة : يا رسول الله كيف ندخل مكة عليهم وهم أخرجوك ؟

قال رسول الله ﷺ يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه •

وانطلق رسول الله ﷺ الى مكة وزيد فى رفقته فلما بلغا غار حراء نزل النبى عليه الصلاة والسلام عن راحلتــه وبعث زيد بن حارثة الى الأخنس بن شريق (كان يعطى رسول الله ﷺ من طرف اللسان حلاوة وكان يظهر له الود فاذا انصرف النبى عليه الصلاة والسلام وجلس الأخنس الى المشركين نال من رسول الله ﷺ) وطلب منه أن يجير النبى عليه الصلاة والسلام بمكة •• فقال الأخنس بن شريق : ان الأخنس يعتذر بأنه حليف قريش والحليف لا يجير على صميمها •

فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة الى ســهيل بن عمرو ليجيره •• فقال سهيل : ان بنى عامر بن لؤى لا تجير على بنى كعب بن لؤى •

فبعث النبى عليه الصلاة والسلام زيدا الى المطعم بن عــدى ليجيره •• فقال المطعم : نعم •• قل له فليأت •

فذهب النبى عليه الصلاة والسلام فبات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مع رسول الله ﷺ هو وبنوه (ستة) متقلدى السيوف جميعا فدخلوا المسجد وقام المطعم بن عدى وقال لرسول الله ﷺ : طف •

وأشار الى بنيه وقال :

ــ كونوا عند ركن البيت فانى قد أجرت محمدا فلا يهجه أحد منكم •

فانتهى النبى عليه الصلاة والسلام الى الركن فاستلمه وصلى ركعتين •

وأقبل أبو سفيان بن حرب فقال لمطعم بن عدى : أمجير أم تابع ؟

قال أبو سفيان بن حرب : اذا لا تخفر .. أجرت من أجرت .

فلما انصرف رسول رسول الله ﷺ .. انصرف المطعم بن عدى وبنوه معه .

فلما رأى أبو جهل بن هشام رســول الله ﷺ قال للمشركين الذين عنــد الكعبة :

ــ هذا نبيكم يا بنى عبد مناف .

فقال عتبة بن ربيعة : وما تنكر أن يكون منا نبى أو ملك .

فأخبر النبى عليه الصلاة والسلام .. فأتاهم وقال : أما أنت يا عتبة بن ربيعة فوالله ما حميت لله ورسوله ولكن حميت لأنفك .

ونظر رسول الله ﷺ الى أبى جهل وقال :

ــ وأما أنت يا أبا جهل بن هشام فوالله لا يأتى عليك غير كبير (كثير) من الدهر حتى تضحك قليلاً وتبكى كثيراً .

ثم نظر النبى عليه الصلاة والسلام الى أشراف قريش واستطرد : وأما أنتم يا معشر الملأ من قريش فوالله لا يأتى عليكم غــير كبير (كثير) من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون .

(٦)

نام رســول الله ﷺ فى بيت أم هانىء (فاختــة بنت أبى طالب زوجــة هبيرة بن أبى وهب) فقامت فلم تجد النبى عليه الصلاة والسلام فلما فقدته من الليل امتنع منهــا النوم مخــافة أن يكون عرض له بعض قريش فتفرقت بنو عبد المطلب يلتمسونه ﷺ . ووصل العباس بن عبد المطلب الى ذى طوى وجعل يصرخ : يا محمد .

فأجابه رسول الله ﷺ : لبيك . لبيك .

فقال العباس : يا ابن أخى عنيت قومك فأين كنت ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : ما أصابنى الا خير .

ودخل رسول الله ﷺ على أم هانىء بغلس وهى على فراشها فقال عليه الصلاة والسلام :

ـ « شعرت أنى نمت الليلة فى المسجد الحرام فأتانى جبريل عليه السلام فأيقظنى وأخرجنى من المسجد واذا انا بدابة وهى البراق وهو فوق الحمار ودون البغل أبيض وفى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع حافره فى منتهى بصره فقال : اركب • فلما وضعت يدى عليه تشامس واستعصى فقال جبريل : يا براق ما ركبك نبى أكرم على الله من محمد فانصب عرقا وانخفض لى حتى ركبته وجبريل عليه السلام لا يفوتنى حتى انتهينا الى بيت المقدس فأدخل جبريل يده فى الصخرة فخرقها وشد به البراق • فنشر لى رهط من الأنبياء فيهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فصليت بهم وكلمتهم وأتيت باناءين أحمر وأبيض فشربت الأبيض فقال لى جبريل عليه السلام : شربت اللبن وتركت الخمر • لو شربت الخمر لغوت أمتك بعدك • ثم ركبت فأتيت المسجد الحرام فصليت به الغداة » •

فتعلقت أم هانىء برداء رسول الله ﷺ وقالت :

ـ أنشدك الله ابن عم ان تحدثت بهذا الخبر قريشا فيكذبك من صدقك • يا نبى الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : والله لأحدثنهموه •

وضرب النبى عليه الصلاة والسلام بيده على ردائه فانتزعه من يدها وخرج رسول الله ﷺ فجلس فى المسجد الحرام وهوواجم فرآه أبو جهل بن هشام فتساءل : هل كان من شىء ؟

فقال رسول الله ﷺ : نعم •

فقال أبو جهل : ما هو ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أسرى بى الليلة •

فتساءل أبو جهل بن هشام : الى أين ؟

فقال رسول الله ﷺ : الى بيت المقدس •

فعاد أبو جهل يتساءل : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟

قال رسول الله ﷺ : نعم •

قال أبو جهل : أرأيت ان دعوت قومك لك لتخبرهم لأخبرتهم بما أخبرتنى به ؟

(أراد أبوجهل بن هشـــام جمع قريش ليسمعوا رسول الله ﷺ يقول لهم ذلك) فقال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم .

(وأراد رسول الله ﷺ جمع قريش فيخبرهم ذلك ويبلغهم) .

صاح أبو جهل بن هشام : هيا يا معشر قريش .

فاجتمعوا من أنديتهم .. فقال أبو جهل : أخبر قومك بما أخبرتنى به .

فقال رسول الله ﷺ : انى أسرى بى الليلة .

فقال أهل مكة : الى أين ؟

فقال رسول الله ﷺ : « الى بيت المقدس راكبا البراق صحبة جبريل يضـع خطوه عند أقصى طرفه (حيث ينتهى بصره) فحملت عليـه فانطلق بى جبريل فأدخل يده فى الصخرة فخرقها وشد به البراق ثم دخلت المسجد فوجدت ابراهيم الخليل وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء جمعـوا لى فصليت بهم . ثم جاءنى جبريل عليـه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : اخترت الفطرة هديت وهديت أمتك يا محمد . ثم عرج بنا الى السماء الدنيـا فاستفتح لى جبريل ففتح لنا ورأيت هناك آدم أبا البشر فسلمت عليه فرحب بى ورد على السلام وأرانى أرواح السعداء عن يمينى وأرواح الأشقياء عن شمالى. ثم عرج بى الى السماء الثانيه فاستفتح لى فرأيت فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم فلقيتهما وسلمت عليهما فردا على السلام ورحبا بى وأقرا بنبوتى . ثم عرج بى الى السماء الثالثة فرأيت فيها يوسف الصـديق فسلمت ورحب بى ثم عرج بى الى السماء الرابعة فرأيت فيها ادريس فسلمت عليه ورحب بى . ثم عرج بى الى السماء الخامسة فلقيت هارون بن عمران فسلمت عليـه ورحب بى وأقر بنبوتى . ثم عرج بى الى السماء السادسه فلقيت فيها موسى فسلم على ورحب بى وآقر بنبوتى فلما جاوزته بكى فقلت : ما يبكيك ؟ قال : ان غلاما بعـدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى . ثم عرج بى الى السماء السابعة فلقيت ابراهيم فسلمت عليه ورحب بى وآقر بنبوتى . ثم رفعت الى سدرة المنتهى ثم رفع الى البيت المعمور . ثم عرج بى الى الجبار جل جلاله فدنوت منه حتى كنت بين

قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما اوحى . وفرض على خمسين صلاة فرجعت حتى مررت على موسى فقال . بم آمرت ؟ قلت : بخمسين صلاة ، قال : ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فالتفت الى جبريل كأنني أستشيره فى ذلك فأشار ان نعم ان شئت . فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى فوضع عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت الى ربى فوضع عشرا ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك كلما رجعت اليه : ارجع فاسأل ربك حتى انتهيت الى أن وضع عنى الا خمس صلوات كل يوم وليلة ومن يؤديها كاملة ينال ثواب خمسين صلاة ثم رجعت الى موسى قال : ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وانى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك فقلت : سألت ربى حتى استحييت فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » .

صفق أكثر أهل مكة وقالوا : هذا والله العجب المبين والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة ؟

وأسرع أبو جهل بن هشام الى أبى بكر فقال له : هل لك فى صاحبك يزعم أنه أسرى به الى بيت المقدس ؟

قال أبو بكر : انكم تكذبون عليه .

قال أبو جهل بن هشام : والله انه ليقوله .

قال أبو بكر : ان كان قاله فقد صدق .

فرماه أبو جهل بنظرة كالخنجر وقال : أتصدقه أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس وعاد قبل أن يصبح ؟

قال أبو بكر : نعم انى أصدقه أبعد من ذلك فما يعجبكم من ذلك ؟ فوالله انه ليخبرنى أن الخبر يأتيه من السماء الى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه .

وأقبل أبو بكر وأبو جهل •• فقال أبو بكر : يا نبى الله أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس من هذه الليلة ؟

قال رسول الله ﷺ : نعم •

قال أبو بكر : يا نبى الله فصفه لى فانى قد جئته •

فجعل الله لرسوله ﷺ بيت المقدس ينظر اليــه دون دار عقيل وينعتــه • وأبو بكر يقول : صدقت • أشهد أنك رسول الله •

وكلما وصف النبى عليه الصلاة والسلام منه شيئا قال أبو بكر : صدقت • أشهد أنك رسول الله •

حتى انتهى رسول الله ﷺ •• قال لأبى بكر : وأنت أبو بكر الصديق •

قال بعض مشركى قريش : أما الصفة فقد أصاب •

وقال المطعم بن عدى : ان أمرك قبل اليوم كان يسيرا غير قولك اليوم وأنا أشهد أنك كذاب •• نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا أشــهرا ومنحدر أشهر أتزعم أنك أتيته فى ليلة واحدة ؟ واللات والعزى لا أصدقك وما كان الذى تقول قط •

واحتدم الجــدل بين رسول الله ﷺ والمكذبين •• فتساءل عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة : يا بنى الله ألم تر آية وأنت فى طريقك الى بيت المقدس ؟

قال رسول الله ﷺ : وآية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا فأنفرهم حس الدابة فند لهم بعــير فدللتهم عليه • وأنا متوجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بضجنان (جبل بناحية تهامة) مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشىء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيته عليه كما كان وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء بها جمل أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والأخرى برقاء •

فأسرع القوم الى الثنية ولما كادت الشمس أن تغرب أقبلت العير فسألوا عن الاناء وعن العير فأخبروهم كما ذكر رسول الله ﷺ وكما وصف لهم •

وعاد الجدل والحوار والاستنكار يملأ كل دار فى مكة • وارتدت طائفة بعد اسلامها وآمن من آمن على يقين من ربه • وأنزل الله تعالى : **« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس »** •

ولما أصبح النبى عليه الصلاة والسلام من صبيحة ليلة الاسراء جاءه جبريل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها • فأمر رسول الله ﷺ أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل فى ذلك اليوم الى الغد والمسلمون يأتمون برسول الله ﷺ وهو يقتدى بجبريل •

وخرج رسول الله ﷺ الى مجنة ومن حوله أبو بكر وعلى بن أبى طالب • وأخذ يطوف على القبائل فى منازلهم يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه •• ويقول : يا أيها الناس قولوا . لا اله الا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم • فاذا متم كنتم ملوكا فى الجنة •

وعمه أبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فانه صابىء كذاب •

فيسأل الناس : من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟

فيقول سادة قريش : انه عمه عبد العزى بن عبد المطلب •

فيرد الناس على النبى عليه الصلاة والسلام أقبح رد ويؤذونه ويقولون : أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك •

واجتمع المشركون بمنى منهم : الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والنضر بن الحارث على رسول الله ﷺ فقالوا : ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان (نصف بالمشرق ونصف بالمغرب) وكانت ليلة أربعة عشر (ليلة البدر) فقال رسول الله ﷺ : ان فعلت تؤمنوا ؟ •

قالوا : نعم •

فسأل رسول لله ﷺ ربه أن يعطيه ما سألوا •• فانشق القمر نصفا على جبل أبى قبيس ونصفا على قعيقعان •

فقال رسول لله ﷺ : اشهدوا •• اشهدوا •

فقال ســادة قريش : سحركم ابن أبى كبشة (وهو أبو كبشة أحد أجداد رسول لله ﷺ من قبل أمه) •

وبينما كان رسول الله ﷺ بمنى عنــد العقبة لقى رهطا من خزرج يثرب فجلس اليهم ودعاهم الى الاسلام وتلا عليهم القرآن فآمنوا بالله ورسوله •

واشتدت عداوة قريش ضراوة لما ايقنوا أن النبى عليه الصلاة والسلام قد بايع الأوس والخزرج على أن يمنعوه فيما يمنعون نساءهم وأبنــاءهم وأنهم قبلوه عليه الصلاة والســلام على مصيبة الأموال وقتل الأشراف • وكذلك عودة بعض مهاجرى الحبشة • وجاء أصحاب رسول الله ﷺ يشكون ما يلقــون من اضطهاد قريش لهم • فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ان الله قد جعــل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها •

وكان ذلك أمرا لمن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى يثرب والهجرة اليها •• فهاجر أبو سلمة عبد الله بن الأسد المخزومى وحمل عامر بن ربيعــة امرأته ليلى بنت أبى حثمة فى هجعة الليــل وانسل بها فى غفــلة من قريش • وحمل عبــد الله بن جحش أهله وكان ضريرا وأغلقت دار بنى جحش هجــرة • وخرج عبيدة بن الحارث والطفيل والحصين بنو الحارث بن عبد المطلب ومسطح بن أثاثة ابن عباد بن عبد المطلب من مكة للهجرة فاتعدوا بطن ناجح فتخلف مسطح (لأنه لدغ) فلما أصبحوا •• جاءهم الخبر •• فانطلق عبيدة والطفيل والحصين اليه فوجدوه بالحصاص فحملوه وقدموا يثرب فنزلوا على عبــد الرحمن بن سلمة العجلانى •• ثم هاجر عمر بن الخطاب وعشرون من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام • ونزل المهاجرون على الأنصار فى دورهم فآووهم • وكان سالم مولى أبى حذيفة يؤم المهاجرين بقباء •

واستبطأ المهاجرون رسول الله ﷺ فى القــدوم عليهم فكانوا يغــدون مع الأنصار الى ظل حرة العصبة فيتحينون قدومه ﷺ فى أول النهار فاذا أحرقتهم الشمس رجعوا الى منازلهم •

ورأى موكب النبى عليه الصــلاة والسلام رجل يهودى فصرخ : يا معشر الأنصار هذا نبيكم قد حضر •

فخرج الناس فرحين للقائه ﷺ . ونزل النبى عليـــه الصلاة والسلام على كلثوم بن الهدم . وبنى رسول الله ﷺ مسجده .. ثم دخل دار زيد بن ســـهل زوج أم أنس بن مالك وأرسل الى مائة رجل من أصحابه : خمسين من المهاجرين وخمسين من الأنصار . وقال عليه الصلاة والسلام : تآخوا فى الله أخوين أخوين.

ثم أخذ ﷺ بيد على بن أبى طالب وقال : هذا أخى.

وآخى رسول الله ﷺ بين عمه حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وآخى بين جعفر بن ابى طالب (كان مهاجرا فى الحبشة) ومعـــاذ بن جبل وآخى بين عبيدة بن الحارث وعمير بن الحمام بن الجموح وآخى بين أبى بكر الصـــديق وخارجة بن زيد وآخى بين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك وآخى بين سلمان الفارسى وأبى الدرداء وآخى بين أبى عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ وآخى بين مصعب بن عمير وذكوان بن عبد قيس و .. و ..

آخى النبى عليـــه الصـــلاة والسلام بين المهاجرين والأنصـــار على الحق والمؤاساة ويتوارثون بعد الممات دون ذوى الأرحام .

وأقطع رسول الله ﷺ لعبيدة بن الحارث والطفيل والحصين موضع خطبتهم بيثرب (فيما بين الزبير وبنى مازن) .

وألف الله بين قلوب الأوس والخزرج فانطفأت العداوة والبغضاء والكراهية التى ظلت سنوات طويلة بينهم . ولما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة وأظهر دينه .. أخذ يرسل السرايا لتحسس أخبار قريش فعقد أول لواء لحمزة بن عبد المطلب .. ثم عقد بعده لواء عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وبعثـــه فى ستين راكبا فلقوا أبا سفيان بن حرب وهو فى مائتين على ماء أحياء (من بطن رابغ) فلم يكن بينهم الا الرومى ولم يسلوا السيوف ولم يدن بعضهم من بعض .. وكان أول من رمى سعد بن أبى وقاص .

وفر المقداد بن عمرو و (بن الأسود) وعتبة بن غزوان من أبى سفيان بن حرب ولحقا بعبيدة بن الحارث .. ثم بعث رسول الله ﷺ فى رجب ابن عمتـــه عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من المهاجرين الى نخلة (بين مكة والطائف) ليرصد قريشا فمرت به عير لها تحمل زبيبا وأدما وتجارة من تجارة قريش فيها

عمرو بن الحضرمى وعثمان بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان والحكم ابن كيسان مولى بنى المغيرة فرمى واقد بن عبد الله التميمى عمرو بن الحضرمى بسهم فقتله واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم • وأسرع عبد الله بن جحش بالأسيرين الى المدينة فكانت أول غنيمة غنمها المسلمون فلما علم رسول الله ﷺ ما كان من عبد الله بن جحش والذين معه قال ﷺ : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام •

فسقط فى أيدى عبد الله بن جحش ومن معه وظنوا أنهم هلكوا وأخذ أصحاب رسول الله ﷺ يعنفونهم فيما صنعوا •• فأنزل الله تعالى « **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا** » •

فتهلل عبد الله بن جحش وصحبه بالفرح •

وعلم رسول الله ﷺ أن أبا سفيان بن حرب مقبل من الشام فى عير لقريش فدعا النبى عليه الصلاة والسلام المسلمين للخروج وقال : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها •

وأجاب ناس وثقل آخرون • ولكن رسول الله ﷺ عاد فقال : من كان ظهره (ما يركبه) حاضرا فليركب معنا •

ولم ينتظر ما كان ظهره غائبا عنه • وخرج رسول الله ﷺ وكان أصحابه خمسة وثلاثمائة رجل من المهاجرين أربعة وستون وباقيهم من الأنصار واستعمل النبى عليه الصلاة والسلام عبد الله بن أم مكتوم على الصلاة وخلف عاصم بن عدى على أهل العالية بعد أن أصبحت تلك البقاع مسرحا للمنافقين وأعداء الاسلام كعبد الله بن أبى بن سلول •

وحين فصل ﷺ من بيوت السقيا قال : اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فأشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك •

وخرج حبيب بن يساف نجدة لقومه من الخزرج طالبا الغنيمة ففرح

المسلمون بخروجه معهم لأنه ذو بأس ولكن رسول الله ﷺ لم يستبشر بخروجه وقال : لا يصحبنا الا من كان على ديننا • ارجع فانا لا نستعين بمشرك •

وأخذ حبيب بن يساف يزين لرسول الله ﷺ خروجه معهم والنبى عليه الصلاة والسلام يؤكد أن المسلمين لا ينصرون بأهل الشرك على أهل الشرك • فلما رأى حبيب بن يساف صدق رسول الله ﷺ مع مبادئه قال : نؤمن بالله ورسوله •

وأسلم حبيب بن يساف وسار مع أصحاب رسول الله ﷺ ووطد النفس على الجهاد فى سبيل الله •

وكان مع أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام فرسان وسبعون بعيرا يعتقبونها فكان رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب ومرثد بن أبى مرثد يعتقبون بعيرا • فقال علي ومرثد : نحن نمشى عنك يا رسول الله •

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما •

وكان عبيدة بن الحارث أسن القوم وكان يعتقب بعيرا هو ومسطح بن أثاثة وسعد بن معاذ • وأمر رسول الله ﷺ أن تقطع الأجراس من أعناق الابل • وكان النبى عليه الصلاة والسلام صائما فلما رأى ما يحتمل المسلمون من جهد فى السير فطر • ونادى مناديه : أفطروا •

فلم يفطر الناس فعاد منادى رسول الله ﷺ ينادى : يا معشر العصاة انى مفطر فافطروا •

فأفطر أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام •

ولما كان رسول الله ﷺ قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهنى وعدى بن أبى الزغباء الى بدر يتحسسان الأخبار عن أبى سفيان بن حرب وعيره•

ولما نزل رسول الله ﷺ وأصحابه بوادى ذفوان أتاه الخبر أن قريشا قد خرجت من مكة بعتادها وعدتها لتمنع عيرها •

وعلم رسول الله ﷺ أن قريشا ما بين التسعمائة والألف وأن فيهم : عتبة بن

ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبا البختري وحكيم بن هشام ونوفل بن خويلد والحارث ابن عامر وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط وأبا جهل بن هشام وزمعـة بن الأسود وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنى الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود .

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : هذه مكة قد ألقت اليكم بأفلاذ كبدها .

ونزل جيش رسول الله ﷺ أدنى ماء من القوم . ثم أمر بالقلب فغوره وبنى عليه الصلاة والسلام حوضا على القليب الذى نزل به فملأ ماء .

وأراد رسول الله ﷺ أن يستنفد كل وسائل الصلح قبل أن يخوض القتال فبعث عمر بن الخطاب سفير قريش فى الجاهلية ليقول لهم : ارجعوا فانه ان يلى هذا الأمر منى غيركم أحب الى من أن تلوه منى .

فصادف هذا القوم هوى فى نفس حكيم بن حزام فقال : قد عرض نصـفا فاقبلوه فوالله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف .

فقال أبو جهل بن هشام : والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم .

فرجع عمر بن الخطاب الى النبى عليه الصلاة والسلام وأخبره بما حدث .

ودنا الجمعان .. وخرج من بين صفوف قريش الأسود أخو أبى سلمة وكان رجلا سىء الخلق شديد العداوة لرسول الله ﷺ .. ثم قال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه .

وأراد الأسود أن يقتحم الحوض فخرج اليـه حمزة بن عبد المطلب فأطن (أطار) قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما نحو أصحابه ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن تبر يمينه فأتبعه حمزة ابن عبد المطلب فضربه حتى قتله فى الحوض .

فحمى عند ذلك عتبة بن ربيعة وأراد أن يظهر شجاعته فبرز بين أخيه شيبة ابن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة فلما توسطوا بين الصفين دعوا الى المبارزة .. فخرج اليهم عوف ومعاذ ابنا عفراء وعبد الله بن رواحة فلما عرفوا أنهم رهط من الأنصار قالوا : يا محمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا .

فقال رسول الله ﷺ : قوموا يا بنى هاشم فقاتلوا بحقكم الذى بعث به نبيكم اذ جاءوا ببطلانهم ليطفئوا نور الله • قم يا عبيدة بن الحارث • قم يا حمزة • قم يا على •

فلما قاموا ودنوا قال عتبة بن ربيعة : من أنتم ؟

كانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح فقال عبيدة بن الحارث : عبيدة •

وقال حمزة بن عبد المطلب : حمزة •

وقال على بن أبى طالب : على •

فقال عتبة بن ربيعة : أكفاء كرام •

فمشى عبيدة وكان أسن الثلاثة الى عتبة بن ربيعة ومشى حمزة الى شيبة بن ربيعة وبارز على الوليد بن عتبة • أما حمزة فلم يمهل شيبة فقتله فكبر المسلمون وقتل على الوليد بن عتبة فاهتز الوادى بتكبير أصحاب رسول الله ﷺ • واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة بن ربيعة فقتلاه • وحمل حمزة وعى عبيدة بن الحارث الى رسول الله ﷺ فى العريش فأدخلاه عليه فأضجعه رسول الله ﷺ ووسد رجله وجعل يمسح الغبار عن وجهه • فقال عبيدة بن الحارث :

ـ أما والله يا رسول الله لو رآك أبو طالب لعلم أنى أحق بقوله منه حين يقول :

ونسلمه حتى نصرع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أردف عبيدة متسائلا :

ـ ألست شهيدا ؟

قال رسول الله ﷺ : بى وأنا شاهد عليك •

فقال عبيدة بن الحارث :

ستبلغ عنا أهل مكة وقعة   يهب لها من كان عن ذاك نائيا

بعتبة اذ ولى وشيبة بعده   وما كان فيها بكر عتبة راضيا

فان تقطعوا رجلى فانى مسلم   أرجى بها عيشا من الله دانيا

مع الحوار أمثال التماثيل أخلصت من الجنـة العليـا لمن كان عاليـا
وبعت بهـا عيشا تعرفت صـفوه وعاجلتـه حتى قعدت الأدانيـا
فأكرمنى الرحمن من فضـل منـه بثوب من الاسلام غطى المساويا
وما كان مكـروها الى قتـالهم عـداة دعا الأكفاء من كان داعيا
ولم يبغ اذا سألوا النبى سواءنا ثلاثتنـا حتى حضـر المنـاديا
لقيناهم كالأسـد تخطـر بالقنـا نقـاتل فى الرحمن من كان عاصـيا
فمـا برحت أقـدامنا من مقامنا ثلاثتنـا حتى أزيزوا المنائيـا

ومات عبيدة بن الحارث وكان ابن ثلاث وستين سنة فدفنه رسول الله ﷺ بالصفراء ونزل فى قبره •

ولمـا نزل النبى عليه الصلاة والسلام بأصحابه بالتاربين قال له أصحابه : انا نجد ريح المسـك •

فقال رسول الله ﷺ : وما يمنعكم وها هو قبر أبى معاوية (يعنى عبيـدة ابن الحارث) ؟



امتدت العيون المتشوقة تتلمس المرفأ • وخفقت القلوب بالأمل والرجاء • لقد هفت النفوس الى الأهل والصحاب وأم القرى والحرم والصفا والمروة وبيت رسول الله ﷺ ليقرئوه السلام ويعيروه سمعهم ليسمعوا فى استبشار ما أنزل الله عليه من نور • لقد حرموا عذب صوته ثلاثة أشهر •

وود العائدون من الحبشة لو أن المراكب تطير بأجنحة الشوق الى أول بيت وضع للناس ليسعدوا بالطواف به •

وقفزت فى رأس عثمان بن مظعون صور أبى جهل وأبى بن خلف وأخيه أمية وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث والعاص بن وائل •• وشياطين قريش فأسر عثمان بن مظعون فى أذن الزبير بن العوام : أخشى أن نكون قد عجلنا بالعودة الى مكة •

قال الزبير : **« قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون »** •

شرد عثمان بن مظعون بخياله •• فرأى نفسه يوما واقفا بجوار الكعبة مع أخويه عبد الله وقدامة • وكان سادة قريش يتحدثون •• قال أبو الحكم بن هشام : لقد قلت : ليدخل فى دين محمد ما شاء •• لكن بعد أن بادأنا بسب ديننا وعيب آلهتنا وأنها لا تضر ولا تنفع •• فواللات الأجعله هو ومن تبعه عبرة لكل ذى عينين •

قال عقبة بن أبى معيط : لقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا فى قرآنه •

قال النضر بن الحارث : لو نشاء لقلنا مثل قرآن محمد • ان هذا الا أساطير الأولين •

قال أبو سفيان بن حرب : ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم •

قال أمية بن خلف : لقـد أفسد علينا عبيدنا • فدينـه الجديد يسوى بين العبد وسيده •

قال زهير بن أمية : انه يدعى أن هناك بعثا بعد الموت وأن من تبعه له جنان كجنان الأردن ومن عصاه له نار يحرق فيها •

وعاد عثمان بن مظعون الى داره وقد قرر أمرا • ولما أرخى الليل أجنحته السوداء على مكة ذهب الى دار الأرقم بن أبى الأرقم فوجد أخويه قدامة وعبد الله •• فتبادلوا نظرات صامتة • كان محمد يجلس وحوله أبو بكر بن أبى قحافة وزيد ابن حارثة وعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأبو عبيدة بن الجراح وعياش بن أبى ربيعة •• وأخذوا يسمعون الى محمد يرتل القرآن • وخرج عثمان بن مظعون وأخواه عبد الله وقدامة فقال عثمان : ما رأيكما فيما سمعتما ؟

قال عبد الله وقدامة : والله ما هذا بقول بشر •

وأخذ أبناء مظعون الثلاثة يترددون على دار الأرقم بن أبى الأرقم ليصغوا الى حكمة محمد وعذب حديثه • وذات يوم كان جالسا بفنـاء بيته • اذ مر به عثمان بن مظعون فعرج اليه فقال محمد : ألا تجلس يا أبا السائب ؟

قال عثمان بن مظعون : بلى •

فجلس عثمان اليـه • وبينما هو يحدثه اذ شخص بصره الى السماء فنظر ساعة وأخذ يضع بصره حتى وضع على عتبة فى الأرض ثم تحرف عن جليسه عثمان الى حيث وضع بصره فأخذ ينفض رأسه كأنه يستنقه ما يقال له • ثم شخص الى السماء كما شخص أول مرة فأتبعه بصره حتى توارى فى السماء وأقبل على عثمان ابن مظعون كجلسته الأولى فقال عثمان : يا محمد فيما كنت أجالسك وآتيـك ما رأيتك تفعل فعلتك الغداة •

قال محمد : ما رأيتنى فعلت ؟

قال عثمان بن مظعون : رأيتك تشخص بصرك الى السماء ثم وضعته حتى وضعته على يمينك فتحرفت اليه وتركتنى • فأخذت تنفض رأسك كأنك تستنقه شيئا يقال لك •

قال محمد ﷺ : أوفطنت الى ذلك ؟

قال عثمان : نعم •

قال محمد ﷺ : أتانى رسول الله جبريل عليه السلام آنفا وأنت جالس •

قال عثمان : ماذا قال لك ؟

قال محمد ﷺ : قال لى« **أن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** » •

واذا برعشة تسرى فى بدن عثمان بن مظعون واذا بكيانه ينتفض • وخفق قلبه • فقد استشعر بنور الايمان يستقر فى صدره •• فقال فى صوت متهدج : أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •

وعاد عثمان بن مظعون فى تلك الليلة الى داره وقد ملأ نور الايمان أقطار نفسه • وظلت كلمات رسول الله ﷺ تسكب فى آذنيه سحرها وعظمتها • كانت كلمات قليلة ولكنها فتحت أمامه آفاقا واسعة وأزاحت الغشاوة عن فؤاده •

وفشا الاسلام فى مكة وتحدثت به قريش وأجمعوا على خلاف وعداوة رسول الله ﷺ ومن تبعه •و أنزل المشركون صنوف العذاب على من آمن برسرل الله •• فنتن منهم من فتن حتى يقولوا لأحدهم : اللات الهك من دون الله •

فيقول : نعم •

حتى أن الجعل ليمر بهم فيقول المشركون : وهذا الهك من دون الله •

فيقول : نعم •

وجاء عثمان بن عفان الى النبى عليه الصلاة والسلام وقال له هو وزوجته رقية : يا رسول الله لقد ضقنا باضطهاد قومنا وأذاهم وبما يصبون فى آذاننا من أقذع السباب وفحش الأقوال •

فتغير وجه رسول الله ﷺ وراح يرنو الى ابنته وزوجها فى رثاء واشفاق •

وأقبل عامر بن ربيعة وزوجته ليلى يشكوان ما يلاقيان من اضطهاد عمر بن الخطاب • وجاء أبو سلمة وزوجه أم سلمة وفى أعينهما الدمع مما قاسيا من عذاب على أيدى بنى مخزوم •• فأطرق النبى عليه الصلاة والسلام •• ثم رفع رأسه

وقال : من فر بدينه من أرض الى أرض وان كان شبرا من الأرض استوجب له الجنة • وكان رفيق أبيه ابراهيم خليل الله ونبيه محمد •

قال عثمان بن مظعون : أين نذهب يا رسول الله ؟
قال رسول الله ﷺ : تفرقوا فى الأرض فان الله تعالى سيجمعكم •
قال عثمان بن مظعون : الى أين نذهب يا نبى الله ؟

قال رسول الله ﷺ : أخرجوا الى جهة الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق •

قال الزبير بن العوام : ومتى نعود الى مكة يا رسول الله ؟
قال النبى عليه الصلاة والسلام : عندما يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه •
ولم ينس سنته • كان يقول على الدوام : اذا خرج ثلاثة فليؤمروا أحدهم •

وأمر على المهاجرين الى الحبشة عثمان بن مظعون وقال : ارجعوا اليــه فى شئونكم ويكون قوله اذا ما تحزبت الأمور •

وراح المسلمون يتأهبون للفرار بدينهم خوفا من الفتنة • وكان عثمان بن مظعــون مشتت العواطف فدموعه تريد أن تنهمر لفراق رسول الله ﷺ • ماذا يستطيع والفئة القليلة من المؤمنين أن يصنعوا فى أرض الحبشة ؟ لكن فراق الأحبة والأصحاب وأم القرى يهون أمام مرضاة الله ورسوله • وكان على يقين أن الله تعالى سيجمع المسلمين مرة أخرى ما دام نبيه عليه الصــلاة والسلام قد قال ما قال • لقد هانت الدنيا فى عينى عثمان بن مظعون وصغرت شدائدها منذ أن أعلن اسلامه •

وصفى الرجال أعمالهم وأعطوا أصحاب الحقوق حقوقهم • وجمعت النسوة ما سيحملن •• وخرج عثمان بن عفان ومعه زوجته رقيــة بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل وأبو سلمة وزوجه أم سلمة والزبير ابن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبى حثمة وأبو سبرة بن أبى رهم وحاجب بن معمر وسهيل بن وهب وعبد الله بن مسعود •• خرجوا متسللين فى رجب من السنة الخامسة من البعثة وركبوا سفينتين الى أرض الحبشة • ودخلوا على النجاشى فقام عثمان بن مظعون

وقص عليه قصة اضطهاد قومهم لهم لايمانهم بعبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام فقال النجاشى : لماذا اخترتم الحبشة عن سائر البلاد ؟

فقال عثمان بن مظعون : قال لنا رسول الله ﷺ : اخرجوا الى جهة الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق ٠

فأكرم النجاشى وفادتهم ٠ وراحوا يؤدون شعائر دينهم فى أمن وسلام ٠

وعمل المهاجرون بالتجارة والزراعة ليأكلوا من كد أيديهم ٠ وكانوا يتنسمون أخبار مكة من التجار القادمين من اليمن ٠ وجاء من مكة أحد أصحاب رسول الله ﷺ فاجتمع به المسلمون وألقوا اليه أسماعهم ٠ فأخذ يقص عليهم نبأ اسلام عمر بن الخطاب وكيف أعز الله به الاسلام فدخل الحرم شاهرا سيفه وهدد بقتل كل من تسول له نفسه الاساءة الى المسلمين ٠ وأصبح أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام يصلون ويقرأون القرآن بالكعبة ٠٠

واستبشر المهاجرون باسلام عمر بن الخطاب وعاودهم الحنين الى أم القرى فقالوا : عشائرنا أحب الينا من هؤلاء الغرباء الذين نعيش بينهم ٠

وقعت الأعين المتلهفة على مرفأ السبيعية ٠٠ فكبر المسلمون ٠٠

وعادت الذكريات تنثال فى رأس عثمان بن مظعون ٠٠ فذات يوم قابله الوليد بن المغيرة فقال : يا أبا السائب ٠٠ لقد بلغنى نبأ كاذب ٠

قال عثمان بن مظعون : ما هو ؟

قال الوليد بن المغيرة : هل صبأت أنت وأخوك قدامة وعبد الله ؟

قال عثمان بن مظعون : بل هدانا الله الى صراطه المستقيم ٠

قال الوليد : غر محمد نفسه وأصحابه أن وعدهم أن يحيوا بعد الموت ٠ والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الأيام ٠

قال عثمان : بل الله يحيى ويميت وسوف يبعثنا جميعا ٠

قال الوليد : ليس بعد الموت حياة ٠

قال عثمان : بل موت ثم بعث لنحيا حياة أخرى خالدة ٠٠ حياة توفى فيها كل نفس ما عملت ولا يظلم ربك أحدا ٠

قال الوليد : لقد سحرك محمد ٠

قال عثمان : بل هدانى انى النور ٠

ورست المراكب عند السبيعية ٠٠ فنزل المهاجرون الى احب أرض الله اليهم ٠ وخروا ساجدين لله يبللون الثرى بدموعهم ٠٠ ثم غذوا فى السير الى مكة فرأى عثمان بن مظعــون رجلا يرعى الغنم فســألـه : كيف الحال الآن بين المسلمين وبين قريش ؟

قال الراعى : ازدادت العداوة بين قريش والمسلمين ضراما ٠

فتوقفت الأقدام ٠٠ وتقابلت العيون ٠٠ وأتمر المهاجرون فقــال عامر بن ربيعة : لم لا نرجع الى الحبشة ؟

فقال الزبير بن العوام : من ذا الذى يطاوعه قلبه على العودة ونحن على بعد ساعة من مكة ؟

قال عثمان بن مظعون : قد بلغنا مكة فلم لا ندخلها وننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من أراد بأهله ثم نرجع ٠

قال عبد الرحمن بن عوف : انى أرى أن ننتظر حتى تغرب الشمس وندخل مكة مستخفين بالليل ٠

قال القوم : نعم الرأى ٠

ساروا مستخفين يترقبون خشية أن يراهم أحد ٠٠ ودخلوا مكة فى هجعة الليل ٠ وراح من بدار عثمان بن مظعون يستبقون الى الباب لاستقبال العائد وبين الضلوع وجيب أفئدة واجفة مستبشرة ٠ والتصقت الصدور بالصدور ٠ وامتزجت الدموع بالدموع ٠٠ ثلاثة أشهر مضت كأنها ثلاث سنوات ٠ لكن يكفى أن الله أنزل فى أمر المهاجرين قرآنا « **والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** » ٠

وسمعت قريش بمقدم العائدين من الحبشة فنصبوا شباكهم وأنزلوا بهم سوء العذاب ٠ وظفر القليل منهم بالجوار فأصبح فى حمى منيع لا يهدر له دم ولا يضطهد له مأمن ٠ فأسرع عثمان بن مظعون انى الوليد بن المغيرة ليجيره فأخذه من يده وانطلق الى الحرم فأعلن على الملأ أن عثمان بن مظعون فى جواره ٠ فمضى

يعبر دروب مكة آمنا مطمئنا ويشهد ندواتها لا يسام خسفا ولا ضيما • ورأى عثمان بن مظعون أصحابه المسلمين من الفقراء والمستضعفين الذين لم يجدوا لهم جوارا ولا مجير يطاردهم الأذى وينزل بهم العذاب • فثارت نفسه على نفسه وجاش وجدانه النبيل فقال : والله ان عدوى ورواحى آنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهل دينى يلقون من الأذى فى الله ما لا يصيبنى لنقص كبير •

فمشى الى الوليد بن المغيرة فقال له : يا أبا عبد شمس وفت ذمتك • وقد رددت اليك جوارك •

قال الوليـد : لم يا ابن أخى ؟ • لعـله آذاك أحد قومى وأنت فى ذمتى فأكفيك ذلك •

قال عثمان : والله ما اعترض لى أحد ولا آذانى ولكن أرضى بجوار الله عز وجل وأريد ألا أستجير بغيره •

قال الوليد : انطلق الى المسجد فاردد جوارى علانية كما أجرتك علانية •

فانطلقا حتى أتيا المسجد •• قال الوليد : هذا عثمان بن مظعون • قد جاء يرد على جوارى •

قال عثمان : صـدق • ولقـد وجدته وفيـا كريم الجوار ولكننى أحببت ألا أستجير بغير الله عز وجل • وقد رددت على أبى عبد شمس جواره •

قال الوليد : يا معشر قريش •• أشهدكم أنى برىء من جواره الا أن يشاء •

وانصرف عثمان بن مظعون والشاعر لبيد بن ربيعة بن مالك فى مجلس من قريش ينشدهم •

فجلس عثمان معهم فقال لبيد : ألا كل شىء ما خلا الله باطل •

قال عثمان : صدقت •

قال لبيد : وكل نعيم لا محالة زائل •

فقال عثمان : كذبت • نعيم الجنة لا يزول •

فقال لبيد فى حنق : يا معشر قريش ما كان يؤذى جليسكم • فمتى حدث هذا فيكم ؟

فقال رجل من القوم : ان هذا سفيه ، فمن سفاهته فارق ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله .

فرد عثمان بن مظعون .. حتى شرى امرهما . فقام اليه الرجل فلطم عينه فأصابها .

والوليد بن المغيرة قريب يرى ما يحدث لعثمان فقال : أما والله يا ابن أخي ، كانت عينك عما أصابها لغنية . ولقد كنت فى ذمة منيعة فخرجت منها وكنت عن الذى لقيت غنيا .

قال عثمان بن مظعون : بل ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها فى الله . وانى لفى جوار من هو أعز منك يا أبا عبد شمس .

فقال الوليد : هلم يا ابن أخى ان شئت فعد الى جوارى .
قال عثمان بن مظعون : لا .

وغادر عثمان هذا المجلس وعينه تضج بالألم ولكنه كان سعيدا مستبشرا . ومضى فى الطريق الى داره يتغنى بشعره قائلا :

فان تك عينى فى رضا الله نالها ... يدا ملحد فى الدين ليس بمهتدى
فقد عوض الرحمن منها ثوابه ... ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد
فانى وان قلتم غوى مضلل ... لأحيا على دين الرسول محمد
أريد بذاك الله والحق ديننا ... على رغم من يبغى علينا ويعتدى





العودة الى النور

كان يشرب الخمر لما جاءه دق على باب داره .. فقال : من ؟
ـ أنا عكرمة بن أبى الحكم .
ـ ماذا تريد ؟

قال عكرمة : افتح يا ابن أبى سعد فان الأمر أعظم من أن يجرى وراء حجاب .

فتح عبد الله بن أبى السرح الباب فاندفع عكرمة وأغلق الباب وقال لاهثا : أسرع بالفرار يا عبد الله .

قال عبد الله : لم يا أبا عمرو ؟
قال عكرمة : جاءنا محمد بسواد مجتمع . وصبأ أبو سفيان بن حرب وأخذ يصرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به فمن كف يده ودخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق باب داره فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن .

قال عبد الله بن أبى السرح : وماذا فعلت هند بنت عتبة ؟
فقال عكرمة : أعماها الغضب فأخذت بلحية زوجها وقالت : يا آل غالب اقتلوا الشيخ الحميث الدسم الأحمق قبح من طليعة قوم .

قال عبد الله بن أبى السرح : وماذا ترى يا أبا عمرو ؟
قال عكرمة : آن للصدور الموتورة أن تتقيأ كل أحقادها الدفينة .
قال عبد الله : ماذا تعنى بقولك هذا ؟

قال عكرمة : لن يدخلها محمد . ولقد جمع صفوان بن أمية وهبار بن الأسود وعبد الله بن حنظل والحويرث بن نفيل ومقيس بن حبابة أناسا بالخندمة فتركتهم وجئت اليك .

قال عبد الله : كل من ذكرت خرج يدافع عن عنقه لا دفاعا عن مكة والبيت .
قال عكرمة : ألم يهدر محمد دمهم ؟

ترك عبد الله بن أبى السرح خمره المعتقة وأخذ سيفه ومشى بجانب عكرمة حتى صعدا الجبل .

وجاء صوت خالد بن الوليد : يا صفوان بن أمية . يا عكرمة بن أبى جهل . يا حويرث بن نفيل . يا هبار بن الأسود . رسول الله ﷺ يدعوكم الى الاسلام .

كان ردهم أن رموا المسلمين بالنبل . وكف خالد عن القتال ما استطاع . ولكن الذين لجأوا الى الخندمة شرعوا أسلحتهم وحملوا على المسلمين . فطوقهم خالد وراح يدفعهم الى الجزورة ثم قال : الأسر الأسر لا تقتلوا الا من امتنع .

ولما اقترب عبد الله بن أبى السرح من باب المسجد أسرع الى الكعبة وتعلق بأستارها ولحق به هبار بن الأسود والحويرث بن نفيل وزهير بن أبى أمية والحارث بن هشام ومقيس بن حبابة .

واستشعر عبد الله بن أبى السرح الضيق لماذا تبع عكرمة وذهب معه الى الخندمة ؟ لماذا لم يبق فى داره وأغلق عليه بابه ؟ ألم يعلن أبو سفيان بن حرب ان محمد قال : فمن كف يده ودخل دار أبى سفيان فهو آمن . ومن أغلق عليه بابه فهو آمن . ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ؟

ليته ظل فى داره أو ذهب الى دار أبى سفيان . لقد استفحل اثمه . ألم يكف ما بدر منه ..؟

وعادت ذكريات الماضى تنثال فى ذهن عبد الله بن أبى السرح ...

تذكر يوم أن ذاع فى مكة نبأ اتصال محمد بن عبد الله بالسماء ونزول الوحى عليه فغطى على زفاف رملة بنت أبى سفيان سليلة حرب بن أمية وعبيد الله بن جحش سليل بنى أسد وبنى هاشم . وتبع محمدا أبو بكر بن أبى قحافة وزيد بن حارثة وعلى بن أبى طالب وخديجة بنت خلويلد زوجة محمد وأم الفضل زوجة عمه العباس بن عبد المطلب والزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعياش بن أبى ربيعة . وكفر بما جاء به محمد سادات قريش أبو سفيان بن حرب وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف و .. كل من كانت زعامة قريش هدفهم . كانوا يعلمون أن محمدا صادق لا يكذب ولكنه جاء بأمر لا يبقى معه شرف . كيف يسوى دينه الجديد بين السادة والعبيد ؟

فراحوا يقاومون دعوته ويؤلبون سادة قومه وسفهاءهم على من جاء ينتزع منهم السلطان والشرف وقابل عبد الله بن أبى السرح أخاه فى الرضاعة عثمان بن عفان يوما فقال له : أصبأت يا عثمان ؟ .

قال عثمان : بل أسلمت . فقد قابلنى أبو بكر ودعانى للاسلام فهدانى الله الى نوره .

قال عبد الله : وما الاسلام ؟
قال عثمان : أن تسلم لله قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك .
قال عبد الله : وأى الاسلام أفضل ؟
قال عثمان : الايمان .

ثم أخذ يقرأ : « **بسم الله الرحمن الرحيم . هل أتاك حديث الغاشية . وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة . تصلى نارا حامية . تسقى من عين آنية . ليس لهم طعام الا من ضريع . لا يسمن ولا يغنى من جوع . وجوه يومئذ ناعمة . لسعيها راضية . فى جنة عالية . لا تسمع فيها لاغية . فيها عين جارية . فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وزرابى مبثوثة . أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت . والى السماء كيف رفعت . والى الجبال كيف نصبت . والى الأرض كيف سطحت . فذكر انما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر . الا من تولى وكفر . فيعذبه الله العذاب الأكبر . أن الينا ايابهم . ثم ان علينا حسابهم** » .

لما توقف عثمان عن القراءة ارتجف جسد عبد الله بن أبى السرح . لقد سمع حكمة الحكماء فى الحيرة والشام وألقى سمعه الى الشعراء فى سوق عكاظ فلم يأخذ ما سمع بلبه مثلما أخذت آيات القرآن فقال لعثمان : هذا ليس من قول بشر .

قال عثمان : انها آيات من لدن حكيم عليم .
أحس عبد الله بن أبى السرح بالكلمات الآخاذة تهز مشاعره . وكأن غشاوة قد رفعت عن عينيه وأن نورا سكب فى قلبه فاذا به يرى الكون كله قد تألق ضياء .

فقال لعثمان : قد أسلمت بقلبى وأرجوا أن تصحبنى الى رسول الله .
قال عثمان : هيا .. ماذا تنتظر ؟

وقابله رسول الله ﷺ مرحبا . فنطق عبد الله بن أبى السرح بالشهادتين . وأخذ يكتب الوحى لرسول الله ﷺ . ووثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش . ولولا خشـية بنى عامر فقد كان عبد الله بن أبى السرح هو فارسـها للقى هول العذاب . وقابله أبو جهل ذات صباح فقال : عمت صباحا يا عبد الله بن أبى سعد .

قال عبد الله : أنعم الله علينا بتحية الاسلام .. تحية أهل الجنة .
قال أبو جهل : كيف .. وكلنا يعلم أن كل الناس الى زوال لا حياة بعده .

قال عبد الله : بل هناك بعث وحياة بعد هذا الزوال الدنيوى . بل حيـاة يحياها الناس بعد أن يبعثوا يوم القيامة .

قال أبو جهل : أتصدق ما يردده ابن أبى كبشة عن الجنة والنار والبعث ؟
قال عبد الله : أقول ما سمعته وآمنت به .
قال أبو جهل : ثم حياة بعد الموت .. اذن ؟
قال عبد الله : نعم .
قال أبو جهل : فمن المحيى .. بعد الموت ؟
قال عبد الله : الله .
قال أبو جهل : الله أم الآلهة ؟
قال عبد الله : الله وحده لا شريك له .

قال أبو الحكم : هكذا علمك محمد فتركت دين أبيك وهو خير منك . واللات لنسفهن حلمك ولنقبحن رأيك ولنضعن شرفك .

ولاحقه أذى أبى جهل وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وبقية سادات قريش وخشى عبد الله بن أبى السرح أن يفتن فى دينه بعد أن ذاق حلاوة الايمان.

تململ عبد الله بن أبى السرح فى وقفته متعلقا بأستار الكعبة لما سمع تكبير المسلمين يزلزل مكة . دخلها محمد ومن معه ؟ . واندلعت نار الخوف فى جوف عبد الله . لقد خان الأمانة . وحان وقت الحساب . كان رسول الله ﷺ اذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا أملى عليما حكيما كتب غفورا رحيما . ولما كتب « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين .**

ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر » •• تعجب عبد الله من تفاصيل خلق الانسان فقال قبل املائه : تبارك الله أحسن الخالقين •

فقال رسول الله ﷺ : أكتب ذلك هكذا نزلت •

ووسوس له الشيطان وملأه الغرور فقام الى الناس وقال : ان كان محمد نبى يوحى اليه فأنا نبى يوحى الى •

ولم يستطع أن يقيم فى يثرب • فارتد عن الاسلام ولحق بمكة وقال لسادة قريش : انى كنت أصرف محمدا كيف شئت • كان يملى على عزيز حكيم فأقول : أو عليم حكيم فيقول : نعم كل صواب وكل ما أقول يقول : اكتب هكذا انزلت •

وعلم عبد الله بن أبى السرح أن محمدا أهدر دمه • فلم يكتف بالردة والهروب من المدينة بل أطلق لسانه لينال العزة والحظوة عند أبى الحكم وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط وعتبة بن ربيعة • لكن أين كل هؤلاء ••؟ لقد هبرتهم سيوف أتباع محمد يوم بدر • وانتشرت هزيمة قريش حماة البيت والكعبة من القبائل •

ونزل الخوف فى فؤاد عبد الله بن أبى السرح • لم يعد أحد من سادة قريش يجد عنده العزة والمنعة والجاه • كل من رفع راية العداء لمحمد قتله أصحابه • وأصبحت حياة عبد الله جحيما • وبات يخشى أن يبتعد عن مكة شبرا حتى لا تظفر به سرايا ابن عبد الله • لقد أصبح مهددا بالقتل حتى وهو فى عقر داره فأتباع محمد يزحفون على أعداء نبيهم ويقتلونهم فى فراشهم • فقد قتلوا كعب بن الأشرف بعد أن شبب بأم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب وبعض نساء المسلمين فى أشعاره • وكذلك قتلوا سلام بن أبى الحقيق فى عقر حصنه بعد أن ارتفع صوته بالعداء لمحمد • وضاق صدر عبد الله بن أبى السرح بالرعب• فأغلق باب داره برتاج حديدى • ولا يحدث أحدا الا من وراء حجاب • لم يكن أقوى ولا أمنع من كعب وسلام •

ارتفع صوت المسلمين بالتلبية • دخلوا مكة ؟ أصواتهم كالصواعق ••

ان كان ذنبك يا عبد الله عظيم فان عفو الله أعظم • ورسوله رءوف رحيم •

ماذا قلت ؟ رسول الله ؟ نعم نطقها لسانك . منذ أن فتنت فى دينك وأنت تعيش فى ضياع بين أقداح الخمر المعتقة ولذة الدنيا . بعت دنياك بآخرتك ..؟

وتذكر عبد الله بن أبى السرح أخاه عثمان . لم لا يذهب اليه . كما أخرجه من الظلمات الى النور يوم أن هداه الله الى الاسلام .. ينقذه اليوم ..؟

واسرع الى دار عثمان فقال له : يا أخى استأمن لى رسول الله قبل أن يضرب عنقى .

قال عثمان : أتقول رسول الله ؟

قال عبد الله : نعم . فان الله عز وجل يفرح بعودة عبده المؤمن التائب .

قال عثمان : لقد أجرتك يا أخى .

وترك عثمان أخاه عبد الله بن أبى السرح فى داره وذهب الى رسول الله ﷺ وسأل عبد الله نفسه : « هل سيقبل رسول الله شفاعة ذى النورين ؟ » .

ووجد نفسه يقول : لم لا ؟ كان رسول الله ﷺ يقول : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة ؟

عاد عثمان الى داره فقال لعبد الله : هيا معى .

فقال عبد الله فى عجل : الى أين ؟

قال عثمان : الى حيث رسول الله ﷺ فقد استأمنته لك .

وقف عبد الله حائرا . أليس هذا ما كان يسعى اليه ؟ كيف يلقى رسول الله بفؤاد مثقل بالذنوب ويد ملطخة بدماء أتباعه ولسان قد جف من طول ترديد كلمات الافتراء والكذب والثأر ؟ لقد بدل كلام الله . ولكن لا بد أن العلى الخبير قد أخبر رسوله .

قال عثمان : هيا يا عبد الله . ألم تسمعنى ؟

ذهب عبد الله مع عثمان الى رسول الله ﷺ فأعرض عن ابن أبى السرح .

فقال عثمان : يا رسول الله أمنته .

ولكن النبى أعرض عنه . فأخذ عباد بن بشر الأنصارى ينظر الى رسول الله ﷺ . فنزل الرعب على قلب عبد الله بن أبى السرح . فقد نذر عباد بن بشر ان رأى عبد الله بن أبى السرح قتله .

ماذا ينتظر عباد ؟ لماذا لم يقتل عبد الله ..؟ ينتظر اشارة من رسول الله ؟ ولكن النبى عليه الصلاة والسلام لم يفعل .

قال رسول الله : نعم أمنته يا عثمان .

فمد عبد الله يده الى النبى ﷺ فى فرحة وقال : لقد تذكرت جرحى القـــديم يا رسول الله .

قال النبى : يا عبد الله الاسلام يجب ما قبله .

ودعا عبد الله بن أبى السرح ربه أن يتم حياته بالصلاة . فاستجاب له . فمات وهو ساجد فى صلاة الصبح .